ابو تمام والفن الشعري

الدكتور عمر الطالب

فنه الشعري في ميزان النقد :

عني ابو تمام عناية كبيرة بالشعر العربي برمته. اذ جمع الشعر العربي في كتب الحماسة وغيرها . وكان هذا الاطلاع على الشعر العربي من العوامل التي ادت الى صقل ذوقه الفني بالاضافة الى حسه الفني وصفاء عقله . مما جعل ابا تمام يجيد قول الشعر في جميع الفنون فنبغ في الشعر وعد افضل ثلاثة من المولدين وهم المتنبي والبحتري «١» . وهو اسبق الثلاثة ومنهم من يفضله على صاحبيه «٢» .

ويعد ابو تمام رأس الطبقة الثالثة من المحدثين انتهت اليه معاني المتقدمين والمتأخرين فكان لثقافته الاثر الكبير في ذلك اذ ترجمت في عصره الكتب اليونانية والفارسية والهندية فزادت عقله ادراكا ولطفت من خياله بالاطلاع عليها . وهو الذي مهد طريق الحكم والامثال للمتنبي وابي العلاء وغيرهما «٣» . ولذلك كان يقال : ان ابا تمام والمتنبي حكيمان والشاعر البحتري .

والسبب في جودة شعر ابي تمام، أنه يأتي في تضاعيف الرؤى مباينا لما يليه فيظهر فضله . والمطبوع الذي هو في مستوى الشعر قليل السقوط لانه لايبين جيده عن سائر الشعر ومن اجل ذلك صار جيد ابي تمام معلوما ومعروفا . ويقول الامدي : «نظرت في شعر ابي تمام والبحتري في سنة سبع عشرة وثلاثمائة واخترت جيدهما وتلقطت محاسنهما ثم تصفحت شعرهما بعد ذلك على مر الاوقات فما من مرة الا وانا الحق في اختيار شعر البحتري مما لم اكن اخترته من قبل . ومما علمت اني زدت في اختيار شعر ابي تمام ثلاثين بيتا على ماكنت اخترته

(١) محمد عبدالمنعم الخفاجي ، ديوان الحماسة ، ص د .

(٢) المصدر السابق ، ص ٧ .

(٣) احمد الهاشمي ، جواهر الادب ، ج ١ ص ١٩١ - ١٩١ .

قديما»«١». والسبب في ذلك ان شعر ابي تمام قد اكتسب شكلا لم يعهده العرب من قبل في شعرهم لما يحتويه من اساليب التفكير اليوناني . ولم تبرز هذه الظاهرة في شاعر عربي بروزها في شعر ابي تمام . كما ان اسلوب تفكيره يختلف عن اسلوب تفكير شعراء العرب . لانه مثقف مطلع على الفلسفة اليونانية . وان اثر هذه الثقافة قد صبغ تفكيره بصبغة تظهره غريبا ، وهذا ماجعل النقاد يختلفون في الحكم على شعره . فاكثر الامدى من سيئآته بينما اكثر الصولي من حسناته . ومن يمعن النظر في شعره يجد ان شعره اقرب الى الفكر العميق وانه ، بتعقيده ، غير مألوف بالنسبة للقارىء العادي لانه يكسو معانيه بالصنعة حتى عادت ابياته الحكمية لاتفهم الا من النحاة والفقهاء والعلماء والفلاسفة «٢»

كما ضمن شعره معاني مبتكرة والفاظا رائقة وامثالا وحكما. فهو شاعر مبدع القيت اليه زعامة الشعر فقد كان هو وابن الرومي يتعمقان الثقافة ويتزعان الى التفكير ويؤثران المعاني العميقة والآراء البعيدة. وكان ابو تمام يعد الشعر صناعة دقيقة فقد كسا معانيه رونقا جديداً لم تهتد اليه جماعة المتقدمين . واقتدى به المتاخرون وكان الحسن بن رجاء يقول: ما رأيت قط اعلم بجيد الشعر قديمه وحديثه من ابي تمام . وسئل البحترى عنه فقال: مداحة نواحة. ولابي تمام من الشعر الذى يتمثل به ويجرى على السنة العامة وكثير من الخاصة ، مائة وخمسون بيتا كما احصاه بعضهم. وقال بعض العلماء بالشعر لما سئل عن ابي تمام: كأنه جمع شعر العالم فانتخب جوهره. وكان يقال: في طي ثلاثة: حاتم في كرمه وداؤد الطائي في زهده وابو تمام في شعره. وقال له ابن الزيات: يا ابا تمام انك تحيي شعرك من جواهر لفظك وبديع معانيك ما يزيد حسنا على بهية جواهر في اجياد الكواعب وما يذخر لك شيء من جزيل المكافأة الا ويقصر عن شعرك في الموازاة. وسمع ابراهيم بن العباس الصولي ابا تمام ينشد شعرا له في المعتصم . فقال

(١) الامدي ، الموازنة ، ص٥١-٥٢ .

(٢) حضر الطائي ، ابو تمام ، ص٨٢ .

له : يا ابا تمام. امراء الكلام رعية لاحسانك . وكان محمد بن حزم الباهلي يقدم ابا تمام ويفضله ويقول: لو لم يقل الا مرثيته التي اولها:

اصم بك الناعي وان كان اسمعا واصبح مغني الجود بعدك بلقعا

والا قوله:

لو يقدرون مشوا على وجناتهم وجباههم فضلا عن الاقدام

لكفى «١» .

وقال ابو يوسف . وكان فيلسوف العرب : هذا الفتى يموت قريبا « ٢ » وكان ابو تمام يختار الفاظه واسلوبه اختيارا دقيقا ويصوغه صياغة خاصة مصبوغة بالوان الترف والزخرف واصباغ البديع المتعددة التي عرفها شعراء القرن الثالث بذوقهم وعقلهم. فابو تمام شاعر مبدع القيت اليه زعامة الشعر من جميع الشعراء في عصره فكان لطيف الفطنة دقيق المعاني غواصا على ما يستصعب منها . وهو متكلف الا انه يصيب . وشغله المطابقة والتجنيس. جزل المعاني في مدحه ورثائه لا في غزله ولا في هجائه.

وطارت له امثال وحفظت له اقوال ولا يتعلق بجيده. جيد امثاله، اما رديئه فمرذول مطروح. وهو رأس في الشعر ومبتدىء لمذهب سلكه كل محسن بعده. فلم يبلغه فيه. فهو اكثر الشعراء بديعا وافتنانا وصنعة في شعره. الا ان مصنوعه جيد يشبه ان يكون مطبوعا. ولحلاوة شعره ودقة اسلوبه خفيت الصنعة فيه كثيرا « ٣ ». ويرى البعض ان ابا تمام لا يعد في نظر اهل العصر الحاضر مثلا اعلى للشعر لانه لم ينقل في شعره كثيرا من صور العواطف التي كانت تجيش في صدر المجتمع في ذلك الحين ولم يكن كأبي العلاء حرا في ابداء ما يختلج في نفسه من المعاني ولا شجاعا في بيان ما يعتقده حقا « ٤ ».

---

(١) ملحم ابراهيم الاسود، ديوان ابي تمام : ص٤٠٥-٨ .

(٢) ابن خلكان ، وفيات الاعيان، ص ١٢١ .

(٣) محمد عبدالمنعم الخفاجي ؛ديوان الحماسة . ص١٣ — ١٤ .

(٤) المصدر السابق، ص١٤ .

وقد قال الامدي في حديثه عن ابي تمام : سمعت ابا علي محمد بن العلاء السجستاني يقول :

انه ليس له معنى انفرد به واخترعه الا ثلاثة معان وهي قوله :

تأبى على التصريد الا نائلا ... الا يكن ماء قراحا يمذق
نزرا كما استكرهت عاثر نفحة ... من فأرة المسك التي لم تفتق

وقوله :

بني مالك قد نبهت خامل الثرى ... قبور لكم مستشرفات المعالم
رواكد قيس الكف من متناول ... وفيها على لاترتقى بالسلالم

وقوله

واذا اراد الله نشر فضيلـــة ... طويت اتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جـاورت ... ماكان يعرف طيب عرف العود

ولست ارى الامر على ما ذكره ابو علي بل ارى ان له — على كثرة ما اخذه من اشعار الناس ومعانيهم — مخترعات كثيرة وبدائع مشهورة وانا اذكرها عند ذكر محاسنه، باذن الله «١» .

وهذا رأى الامدى اكثر من شهر سلاح النقد في وجه ابي تمام. وقوله اعتراف بفضل ابي تمام وتفوقه في الفن الشعرى فكيف بمريديه واصدقائه والنقاد الموضوعيين؟ وسبب مهاجمة ابي تمام من قبل البعض يعود الى ان العرب قوم لا يقيدون النفس في الشعر باكثر مما يقيده هذا الفن على اصوله وهم يريدون للشاعر ان يقول ما يحس ويذهب في ذلك في غير مراعاة لما قاله غيره على شروط اربعة :

جودة الالة، اصابة الغرض المقصود، صحة التأليف والانتهاء الى نهاية الصنعة من غير نقص فيها ولا زيادة عليها «٢» .

---

(١) الآمدي ، الموازنة بين شعر ابي تمام والبحتري ، ج٢ ص١٣٣ - ١٣٤ .

(٢) البهبيتي، ابو تمام ، ص١٨٨ .

وقد استملح كثير من القدماء شعر ابي تمام. ويذكر ابن المعتز في كتابه «طبقات الشعراء» مجموعة كبيرة من شعره الجيد كداليته في المأمون التي اولها:

كشف الغطاء فاوقدى او اخمدى

وهي اشهر من الفرس الابلق وكل مطالع القصائد التي تذكر هنا.

وقوله: وابي المنازل انها لشجون

= سرت تستجير الدمع خوف نوى غد

= متى انت عن ذهلية القوم ذاهل

= اصغى الى البين معتزا فلا جرما

= دمن الم بها فقال: سلام

= بدلت عبرة من الايمـــاض

= الحق ابلج والسيوف عوارى

وقوله: السيف اصدق انباء من الكتب

= خشنت عليه اخت بني خشين

= خذى عبرات عينك من زماع

= يوم الفراق، لقد خلقت طويلا

ولو استقصينا ذكرى اوائل قصائده الجياد التي هي من عيون شعره لشغلنا قطعة من كتابنا هذا لان الرجل كثير الشعر جدا ويقال: ان له ستمائة قصيدة وثمانمائة مقطوعة واكثر ما له جيد. والرديء الذي له انما هو شيء يستغلق لفظه فقط. فاما ان يكون في شعره شيء يخلو من المعاني اللطيفة والمحاسن والبدع الكثيرة فلا «١».

ولابي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي اراء طريفة في جودة شعر ابي تمام ذكرها في كتاب شذرات الذهب «٢».

وسئل الشريف الرضي عن ابي تمام والبحتري والمتنبي فقال: اما ابو تمام فخطيب مثير واما البحتري فواصف جؤذر واما المتنبي فقائد عسكر.

---

(١) ابن المعتز، طبقات الشعراء ص ٢٨٤ — ٢٨٦.

(٢) الحنبلي. شذرات الذهب، ج ٢، ص ٧٤.

وقال ابن الاثير في كتاب المثل السائر يصف الثلاثة: وهؤلاء الثلاثة هم: لات الشعر وعزاه ومناته الذين ظهرت على ايديهم حسناته ومحسناته وقد حوت اشعارهم غرابة المحدثين وفصاحة القدماء وجمعت بين الامثال السائرة وكلمة الحكماء. اما ابو تمام فرب معان ... وقد شهد له بكل معنى مبتكر لم يمش فيه على اثر فهو غير مدافع عن مقام الاغراب الذي يبرز فيه على الاضراب ولقد مارست الشعر كل اول واخير لم اقل ما اقول فيه الاعن تنقيب وتنقير فمن حفظ شعر الرجل وكشف عن غامضه وراض فكره برائضه اطاعته اعنة الكلام وكان قوله في البلاغة ما قالت حذام. فخذ مني في ذلك قول حكيم وتعلم ففوق كل ذي علم عليم «١».

وسئل المتنبي عن ابي تمام فقال: انا وابو تمام حكيمان والشاعر البحتري «٢». اراد المتنبي ان يسلك مسلك ابي تمام فقصرت عنه خطاه ولم يعطه الشعر ما اعطاه ولكنه حظي في شعره بالحكم والامثال «٣».

قال ابن الاهدل: كان يحفظ اربعة الاف ارجوزة غير القصائد والمقاطع «٤» وقال الكندي للخليفة بعد ان مدحه:

اقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم احنف في ذكاء اياس

اتشبه الخليفة باجلاف العرب؟ فقال: نور الله — سبحانه — اشبه بمصباح في مشكاة للتقريب.

فقال للخليفة: اعطه ما سأل فانه لا يعيش اكثر من اربعين يوما لانه قد ظهر في عينيه الدم من شدة الفكر وقيل: قال: انه يموت قريبا او شابا فقيل له: وكيف ذلك؟ فقال: رايت فيه من الذكاء والفطنة ما علمت ان النفس الروحانية تأكل جسمه كما يأكل السيف المهند غمده فقال له الخليفة: ما تشتهي؟ قال: الموصل: فاعطاه اياها فمات سريعا. «٥»

جاء في كتاب الموازنة بين الطائيين: ان دعبلا قال عن ابي تمام: ان ثلث

---

(١)—(٣) نفس المصدر السابق.

(٤) نفس المصدر: ص٧٣.

(٥) الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٢ ص٧٣ و ٧٤.

شعره محال وثلثه مسروق وثلثه صالح. وقال: ما جعل الله ابا تمام من الشعراء بل شعره بالخطب والكلام المنثور اشبه منه بالشعر. وقال ابن الاعرابي في شعر ابي تمام: ان كان هذا شعرا فكلام العرب باطل. فاجاب صاحب ابي تمام: ان دعبلا كان يشنأ ابا تمام ويحسده على ما هو معروف ومشهور فلا يقبل قول شاعر في شاعر. واما ابن الاعرابي فكان شديد التعصب عليه لغرابة مذهبه ولانه كان يرد عليه من معانيه ما لا يفهمه ولا يعلمه فكان اذا سئل عن شيء منها يأنف ان يقول: لا ادري فيعدل الى الطعن عليه«١».

ويقول صاحب ابي تمام: لسنا ننكر ان يكون صاحبنا قد وهم في بعض شعره وعدل عن الوجه الاوضح في كثير من معانيه. وغير غريب على فكر نتج من المحاسن ما نتج وولد من البدائع ما ولد ان يلحقه الكلال في الاوقات والزلل في الاحيان، بل من الواجب لمن احسن احسانه. ان يسامح في سهوه. ويتجاوز له عن خطئه، وما رأينا احدا من شعراء الجاهلية سلم من الطعن. ولا من المتأخرين المحدثين، وما كان احد من اولئك وهؤلاء مجهول الحق. ولا مجحود الفضل بل عف احسانهم على اساءتهم وتجويدهم على تقصيرهم.

وكيف ما كان الامر لا تستطيعون ان تدفعوا ما اجمع عليه الرواة والعلماء ان جيد ابي تمام لا يتعلق به جيد امثاله. واذا كان جيده بهذه المكانة وكان من الممكن اغفال رديئه واطراحه كأنه لم يقله فلا يبقى ريب في انه اشعر شعراء عصره «٢».

وقد انشد البحتري ابا تمام شعرا له «اي للبحتري» فاستجاده ابو تمام واعترف البحتري بفضل أبي تمام عليه وانه هو الذي علمه الطريقة التي يكون بها شاعرا فذا، وهنا علينا ان نذكر الوصية التي قدمها ابو تمام للبحتري فهي عبارة عن اراء لابي تمام في نظم الشعر واسلوبه واوقات نظمه.« قال البحتري: كنت في حداثتي اروم الشعر وكنت ارجع فيه الى طبعي. ولم اكن اقف على تسهيل مأخذه ووجوه اقتضابه حتى قصدت ابا تمام وانقطعت

(١) زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، ص٩١و٩٢.
(٢) المصدر السابق، ص ٩٣.

فيه اليه واتكلت في تعريفه عليه فكان اول ما قال لي : يا ابا عبادة. تخير الاوقات وانت قليل الهموم صفر من الغموم واعلم ان العادة جرت في الاوقات ان يقصد الانسان لتأليف شيء او حفظه في وقت السحر وذلك ان النفس قد اخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم وان اردت التشبيب فاجعل اللفظ رقيقا والمعنى رشيقا واكثر فيه من بيان الصبابة وتوجع الكآبة وقلق الاشواق ولوعة الفراق فاذا اخذت في مدح سيد ذي اياد فاشهر مناقبه واظهر مناسبه وابن معالمه وشرف مقامه ونضد المعاني واحذر المجهول منها واياك ان تشين شعرك بالالفاظ الرديئة ولتكن كأنك خياط يقطع الثياب على مقادير الاجساد واذا عارضك الضجر فارح نفسك ولا تعمل شعرك الا وانت فارغ القلب واجعل شهوتك الى الشعر الذريعة الى حسن نظمه . فان الشهوة نعم المعين . وجملة الحال ان تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماضين فما استحسن العلماء فاقصده وما تركوه فاجتنبه. ترشد ان الله . قال البحتري : فاعملت نفسي فيما قال فوقفت على السياسة «١» .

ويقول زكي مبارك: يجب الا نفتن بهذا القول وان نفهم ان جماله يرجع الى انه سخرية تدل على براعة وذكاء . فاذا جازلنا ان نلوم الشعراء على اسفافهم حين يطمعون في عطايا الملوك فان للشاعر رسالة يؤديها الى العالم هي فهمه العميق لاسرار الجمال «٢» .

ولا اجد في رأي ابي تمام اية سخرية لان الجمال الفني ينبع دائما في طبيعة القصيدة ووحدتها العضوية والمناسبة التي تقال فيها وكل هذا ذكره ابو تمام في نصيحته للبحتري وان لم يكن يعرف انذاك معنى الوحدة العضوية .

وقد عرض البحتري شعره على ابي تمام بعد ان ذهب اليه الى حمص فقال له : انت اشعر من انشدني. فكيف حالك ؟ فشكا اليه حاله فكتب الى اهل

---

(١) زكي مبارك . الموازنة بين الشعراء ص١٢٦ .

(٢) زكي مبارك . النثر الفني ، ص٢١ .

معرة النعمان يشهد له بالحذق ويوصيهم باكرامه .قال البحتري : «فاكرموني بكتابه ووظفوا لي اربعة الاف درهم فكانت اول مال اصبته » «١» .

وقال البحتري: انشدت ابا تمام شيئا من شعري فانشدني بيت اوس بن حجر :

اذا مغرم منا ذرى حدنا به تخمط فينا ناب اخر مقدم

وقال : نعيت الي نفسي فقلت : اعيذك بالله من هذا ! فقال : ان عمري ليس يطول وقد نشأ لطيء مثلك . اما علمت ان خالد بن صفوان المنقري رأى شبيبة بن شبة وهو يتكلم — وهو من رهطه — فقال : يابني نعى نفسي الي احسانك في كلامك . قال : فمات ابو تمام بعد سنة من هذا «٢» .

ومن هنا نرى ان البحتري تأثر بابي تمام واخذ عنه اشياء كثيرة ومن جملة ما اخذ نضرب هذه الامثلة .

قال البحتري يصف الغيث محيطا بالدار :

وجاءك يحكي يوسف بن محمد فروتك رياه وجادك قاطـــره

يقول الحاتمي : ان هذا مأخوذ من قول ابي تمام :

وبيوتها في القلب نوى شفـــه وله بظاعنها وبالمتخلـــف

وكأنما استسقى لهن محمد من سومهن من الحيا في زخرف

وكذلك قول البحتري :

لو ان مشتاقا تكلف فوق ما في وسعه لسعى اليك المنبـــر

مأخوذ من قول ابي تمام :

ديمة سمحة القيـاد ســـكوب مستغيث بها الثرى المكـــروب

لو سمعت بقعة لاعظام نعمى لسعى نحوها المكـــان الجديب

وكذلك قوله :

ثناء تحال الروض فيه منورا ضحى وتخال الوشي فيه منمنما

انما اخذه من قول ابي تمام :

حلوا بها عقد النسيم ونمنموا من وشيها نشرا لها وقصيدا «٣»

(١)—(٢) زكي مبارك . الموازنة بين الشعراء ص ١٢٥ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٣٦ .

ومثل ذلك كثير في كتب الادب «١» .

وجاء في الاغاني في تفضيل ابي تمام ما نصه :

سمعت محمد بن عبدالملك الزيات يقول : اشعر الناس طرا الذي يقول :

وما ابالي وخير القول اصدقه حقنت لي ماء وجهي اوحقنت دمي

فاحببت ان استثبت ابراهيم بن العباس وكان في نفسي اعلم من محمد وآدب فجلست اليه وكنت اجري عنده مجرى الولد فقلت له : من اشعر اهل زماننا فقال : الذي يقول :

مطر ابوك ابو اهله واثـل ملأ البسيطة عدة وعديـدا

نسب كان عليه من شمس الضحى نورا ومن فلق الصباح عمودا

ورثوا الابوة والحظوظ فاصبحوا جمعوا جدودا في العلى وجدودا

فاتفقنا على ان ابا تمام اشعر اهل زمانه .

اخبرني محمد بن يحيى الصولي وعلي بن سليمان الاخفش . قالا : حدثنا محمد بن يزيد النحوى قال : قدم عمارة بن عقيل بغداد فاجتمع الناس اليه فكتبوا شعره وشعر ابيه وعرضوا عليه الاشعار فقال بعضهم : هنا شاعر يزعم انه اشعر الناس طرا ويزعم غيرهم ضد ذلك فقال : انشدوني قوله فانشدوه :

غدت تستجير الدمع خوف نوى غد وعاد قتادا عندها كل مرقد

وانقذها من غمرة الموت انه صدود فراق لاصدود تعمد

فاجرى لها الاشفاق دمعا موردا من الدم يجرى فوق خد مورد

هي البدر يغنيها تورد وجهها الى كل من لاقت وان لم تورد

ثم قطع المنشد فقال له عمارة : زدنا من هذا فوصل نشيده فقال :

ولكنني لم احو رمزا مجمعا ففزت به الا بشمل مبـرد

ولم تعطني الايام نوما مسكنا الذ بـه الا بنوم مشـرد

(١) المرزباني، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، ص٧-٨، الصولي، اخبار ابي تمام ، ٥٠، ٥١، ٦٢، ٧٦، ٧٧ .

فقال عمارة : لله دره ! لقد تقدم في هذا المعنى من سبقه اليه على كثرة القول فيه ، حتى لقد حبب الاغتراب ، هيه ، فانشده :

وطول مقام المرء في الحي مخلق لديباجتيه فاغترب تتجدد
فاني رأيت الشمس زيدت محبة الى الناس ان ليست عليهم بسرمد

فقال عمارة : كمل والله ، لئن كان الشعر بجودة اللفظ وحسن المعاني واطراد المراد واتساق الكلام فان صاحبكم هذا اشعر الناس «١» . وهناك امثلة كثيرة من هذا النوع في الاغاني «٢» .

وفي فضل ابي تمام يقول الامدي :

وجدت اهل الصنعة من اصحاب البحتري ومن يقدم مطبوع الشعر دون متكلفه لايدفعون ابا تمام عن لطيف المعاني ودقيقها والابداع والاغراب فيها والاستنباط لها ويقولون : انه وان اختل في بعض مايورده «منها» فان الذي يوجد فيها من النادر المستحسن اكثر مما يوجد من السخيف المسترذل وان اهتمامه بمعانيه اكثر من اهتمامه بتقويم الفاظه على شدة غرامه بالطباق والجناس والمماثلة وانه اذا لاح له اخرجه بأي لفظ استوى من ضعيف او قوي وهذا من اعدل ماسمعته من القول فيه .

واذا كان هذا هكذا فقد سلموا له الشيء الذي هو ضالة الشعراء وطلبتهم وهو لطيف المعاني وبهذه الخلة دون ما سواها فضل امرأ القيس لان الذي في شعره من دقيق المعاني وبديع الوصف ولطيف التشبيه وبديع الحكمة فوق ما في اشعار سائر الشعراء من الجاهلية والاسلام حتى انه لاتكاد تخلو له قصيدة واحدة من ان تشمل من ذلك على نوع او انواع . ولولا لطيف المعاني واجتهاد امرىء القيس فيها واقباله عليها لما تقدم على غيره ، ولكن كسائر الشعراء من اهل زمانه . اذ ليست له فصاحة توصف بالزيادة على فصاحتهم . ولا لالفاظه من الجزالة والقوة ماليس لالفاظهم . الا ترى ان

---

(١) الاغاني ، ج١٥ ص٩٧ .

(٢) الاغاني ، ج١٥ ص٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ على التوالي .

العلماء بالشعر انما احتجوا في تقديمه بان قالوا : هو اول من شبه الخيل بالعصى وبالوحش وبالطير واول من قال : «قيد الاوابد» واول من قال : كذا وقال : كذا ، فهل هذا التقديم له الا من اجل معانيه ؟ «١»

وقالوا : واذا كان قد اضطرب لفظ ابي تمام واختل في بعض المواضع فهل خلا من ذلك شاعر قديم او محدث ؟ «٢»

هذا الاعشى يختل لفظه كثيرا ويسنسف دائما ويرق ويضعف ولم يجهلوا حقه وفضله حتى جعلوه نظير النابغة والفاظ النابغة في الغاية من البراعة والحسن وعديلا لزهير الذي صرف اهتمامه كله الى تهذيب الفاظه وتقويمها والحقوه بامرىء القيس الذي جمع الفضيلتين فجعلوهم طبقة وصار فضل كل واحد من غير الوجه الذي فضل منه صاحبه ولو ان ابا تمام يخلو من كل لفظ جيد او لو انه قال بالفارسية او الهندية :

واذا اراد الله نشر فضيلة ... طويت اتاح لها لسان حسود
ولا اشتعال النار فيما جاورت ... ما كان يعرف طيب عرف العود

أو قال :

اهي البدر يغنيها تورد وجهها ... الى كل من لاقت وان لم تورد

او ما اشبه هذا من بدائعه حتى يفسر لنا ذلك مفسر بكلام عربي منثور اما كان هذا شاعرا محسنا يثابر شعراء زمانه عن اهل اللغة العربية على طلب شعره وتفسيره واستعارة معانيه ؟ فكيف وبدائعه مشهورة ومحاسنه متداولة ولم يأت الا بأبلغ لفظ واحسن سبك ؟ «٣»

ومما يروى من تفضيل ابي تمام قال ابو تمام بعد ان رأى اعرابيا : ياعرابي . اين منزلك ؟ قال : اللهم ، غفرا . اذا اشتمل الظلام فحيثما ادركني الرقاد رقدت ! قلت : فكيف رضاك عن اهل العسكر ؟ قال : لاخلق وجهي بمسألتهم . او ما سمعت قول هذا الفتى الطائي الذي ملأ الدنيا شعره :

---

(١) الامدي ، الموازنة بين شعر ابي تمام والبحتري ، ص٣٩٧ .
(٢) المصدر السابق ، ص٣٩٨ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٣٩٩ .

وما أبالي .وخير القول أصدقه حقنت لي ماء وجهي او حقنت دمي

قلت: فانا الطائي قائل هذا الشعر، فدنا مبادرا فعانقني وقال: لله ابوك الست الذي يقول:

ما جود كفك ان جادت وان بخلت من ماء وجهي اذا اخلقته عوض

قلت نعم. قال انت والله اشعر اهل الزمان، فرجعت بالاعرابي معي الى ابن ابي دؤاد وحدثته بحديثه فادخله الى الواثق فسأله عن خبره معي فأخبره فأمر له بمال واحسن اليه ووهب له احمد بن ابي داؤد فكان يقول لي : قد عظم الله بركتك علي «١».

وروى ايضا ان ابا العباس عبد الله بن المعتز قال: جاءني محمد بن يزيد المبرد، فافضنا في ذكر ابي تمام، وسألته عنه وعن البحتري فقال: لابي لابي تمام استخراجات لطيفة ومعان طريفة لا يقول مثلها البحتري، وهو صحيح الخاطر حسن الانتزاع وشعر البحتري احسن استواء، وابو تمام يقول النادر والبارد وهو المذهب الذي كان المحبب الى الاصمعي، وما اشبه ابا تمام الابغائص يخرج الدر والمخشلب ثم قال: قال ابو بكر : وقول ابي العباس المبرد «ما اشبهه الابغائص » فانما اخذه من قول الاصمعي في النابغة الجعدي: تجد في شعره مطرفا بالاف وكساء بواف «٢».

وروى ايضا ان احمد بن سعيد الطائي قال : كان ابن عبد واسماعيل بن القاسم-- وهما علمان من اعلام الكتاب والأدب--يقولان: البحتري اشعر من ابي تمام قال: فذكرت ذلك للبحتري، فقال لي: لا تفعل يا ابن العم فوالله ما اكلت الخبز الابه «٣».

ومن امثلة تفضيله ما جاء في زهر الآداب: ان اباعلي كان جالسا في مجلس كثر فيه ذم ابي تمام والاعلاء من مكانة البحتري فقال ابو علي: وكنت ساكنا الى ان استتم كلامه، ابتدأت فقلت: لست ممن يقعقع له بالشنان قد تقدم ابو تمام الى سبك نضارها وافتضاض ابكارها وجرى البحتري على

(١) العمولي، اخبار ابي تمام ، ص٩٢ — ٩٣ .
(٢) المصدر السابق ، ص٩٦ — ٩٧ .
(٣) المصدر السابق ، ص ١٢٠ .

وتيرة في انتزاع امثالها وابتداعها . هل رأيت مثل قوله في الابتداء:

طلل الجميع لقد عفوت جميدا وكفى على رزقي بذاك شهيدا
دمن كأن البين اصبح طالبا دمنا لدى آرامها وحقودا

وقوله في الاقتضاب :

الحق ابلج والسيوف عواري فحذار من اسد العرين حذار

وابو تمام وصف القوافي بما لم يستطيع وصفها به احد فقال:

فان انا لم يحمدك عني صاغرا عدوك فاعلم انني غير حامد
بسياحة تنساق من غير سائق وتنقاد في الافاق من غير قائد
محببة ما ان تزال ترى لها الى كل افق واحداً غير واحد
مخلفة لما ترد أذن سامع فتصدر الا عن يمين وشاهد «١»

وقال ابراهيم بن العباس الصولي لابي تمام: الكلام يا ابا تمام رعية لاحسانك، قال : لاني استضيء بنورك وارد شريعتك وكان الطائي مع جودة شعره بليغ الخطاب حاضر الجواب وكان يقال: ثنتان قلما تجتمعان: اللسان البليغ والشعر الجيد « ٢ ».

وكتب الحسن بن وهب الى ابي تمام الطائي : انت — حفظك الله — تحتذي من البيان في النظام مثل ما نقصد نحن في النثر من الافهام والفضل لك — اعزك الله — اذ كنت تاتي به في غاية الاقتدار على غاية الاقتصار في منظوم الاشعار فتحل معقده وتربط متشرده وتضم اقطاره وتجلو انواره وتفصله في حدوده وتخرجه في قيوده ثم لا تاتي به مهملا فيستبهم ولا مشتركا فيلتبس ولا متعقدا فيطول ولا متكلفا فيحول فهو منك كالمعجزة تضرب فيه الامثال وتشرح فيه المقال فلا اعدمنا الله هداياك واردة وفوائدك وافدة وهي طويلة فاجابه ابو تمام:

لقد جلى كتابك بث حب جو واصاب شاكلة الرمي
فضضت ختامه فتبلجت لـي مراميه عن الخبر الجلـي
وكان اغض في عيني نـدى على كبدى من الزهر الجني «٣»

(١) زهر الاداب ، ص ٦٢٠ .
(٢) زهر الاداب ص ٧٢٦ .
(٣) المصدر السابق ص ٨٥

وفي تفضيله ايضا. روى ان ابن المعتز قال: جاءني محمد بن يزيد النحوى فاحتبسته فاقام عندى فجرى ذكر ابي تمام فلم يوفه حقه وكان في المجلس رجل من الكتاب . نعماني ما رأيت احدا احفظ لشعر ابي تمام منه فقال له : يا ابا العباس ضع في نفسك من شئت من الشعراء ثم انظر الحسين ان يقول مثل ما قاله ابو تمام لابي المغيث موسى بن ابراهيم الرافعي يعتذر اليه :

شهدت لقد اقوت مغانيكم بعدى ومحت كما محت وشائع من برد
وانجدتم من بعد اتهام داركم فيا دمع انجدني على ساكني نجد

ثم مر فيها حتى بلغ الى قوله في الاعتذار:

اتاني مع الركبان ظن ظننته لففت له راسي حياء من المجد
لقد نكب الغدر الوفاء بساحتي اذن وسرحت الذم في مسرح الحمد
جحدت . اذن . كم من يد لك شاكلت يد القرب اعدت مستهاما على البعد

فقال ابو العباس محمد بن يزيد: ما سمعت احسن من هذا قط ، ما يهضم هذا الرجل حقه الا احد رجلين: اما جاهل بعلم الشعر ومعرفة الكلام . واما عالم لم يتبحر في شعره ولم يسمعه.

قال ابو العباس عبد الله بن المعتز : وما مات الا وهو منتقل عن جميع ما كان يقوله مقر بفضل ابي تمام واحسانه « ١ ».

ومما يروى في تفضيله ان محمد بن ابي كامل قال : شهدت ابا تمام الطائي في منزل الحسين بن الضحاك وهو ينشد شعره وعنده اسحاق بن ابراهيم الموصلي فقال اسحاق : يا فتى . ما اشد ما تتكيء على نفسك، يعني انه لا يسلك مسلك الشعراء قبله وانما يستقي من نفسه « ٢ » وكذلك يروى ان هارون بن عبد الله المهلبي قال: كنا في حلقة دعبل فجرى ذكر ابي تمام فقال دعبل : كان يتتبع معاني فياخذها فقال له رجل في مجلسه : ما من ذلك اعزك الله ؟ قال: قلت:

---

(١) انيس المقدسي: امراء الشعر العربي في العصر العباسي ص٢٠٢ .
(٢) المرزباني، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، ص٧٤ .

ان امرأ اسدى الي بشافـــع اليه ويرجو الشكر مني لاحمق
شفيعك فاشكر في الحوائج انه يصونك عن مكروهها وهو يخلق

فقال الرجل: احسن والله قال: كذبت قبحك الله قال: والله لئن كان ابتدأ هذا المعنى وتبعته فما احسنت . ولئن كان اخذه منك لقد اجاده فصار اولى به منك قال: فغضب دعبل . قال محمد: وشعر ابي تمام اجود مبتدأ ومتبعا وهو احق بالمعنى ولقد تبع البحترى ابا تمام فقال في هذا المعنى:

وعطاء غيرك ان بذلـــت عناية فيه عطـــاؤك « ١ »

ودخل ابو سعيد المخزومي على اسحاق بن ابراهيم الصعبي فانشده قصيدة وكان حسن الانشاد ثم دخل بعده الطائي فانشده وكان ردىء الانشاد فقال الصعبي للطائي: لو رايت المخزومي وقد انشدنا انفا . فقال الطائي: ايها الامير نشيد المخزومي يطرف بين يدى نشيدى « ٢ ».

وقد كان بعض العلماء يشبه الطائي في البديع بصالح بن عبد القدوس في الامثال ويقول: لو ان صالحا نثر امثاله في شعره وجعل بينها فصولا من كلامه لسبق اهل زمانه. وغلب على مد ميدانه. وهذا اعدل كلام سمعته في هذا المعنى « ٣ ».

وسالت المبرد عن ابي تمام والبحترى: ايهما اشعر ؟ قال: لابي تمام استخراجات لطيفة. ومعان ظريفة. وجيده اجود من شعر البحترى. ومن « شعر من » تقدمه من المحدثين . وشعر البحترى احسن استواء من شعر ابي تمام . لان البحترى يقول القصيدة كلها . فتكون سليمة من طعن طاعن او عيب عائب .وابو تمام يقول البيت النادر ويتبعه البيت السخيف . وما اشبهه الا بغائص البحر يخرج الدرة والمخشلبة فيجعلهما في نظام واحد. وانما يؤتى هو وكثير من الشعراء من البخل باشعارهم. والا فلو اسقط من شعره على كثرة عدده. ما انكر منه لكان اشعر نظرائه . فدعاني هذا

(١) المصدر السابق ، ٢٧٠ .
(٢) ابن المعتز: البديع ، ص١٦ .
(٣) المصدر السابق، ص١-٢ .

القول منه الى ان قرأت عليه شعر ابي تمام. واستقطت خواطئه وكل ماذم من شعره. وافردت جيده. فوجدت ما يتمثل به ويجرى على السنة العامة، وكثير من الخاصة مائة وخمسين بيتا. ولا اعرف شاعرا جاهليا ولا اسلاميا يتمثل له بهذا المقدار من الشعر « ١ »

الصنعة الشعرية عند ابي تمام :

سبب الصناعة عند ابي تمام ثقافته العميقة واتصاله بعلمي المنطق والفلسفة واكثاره من استخدام الادلة المنطقية وهي عنده تستمد من احساسه العميق بتشابك حقائق الكون فيرى بعضها خلال بعض وتتخذ دليلا وحجة « ٢ » بالاضافة الى ذكاء نادر. ويقص القدماء عن ذكائه قصصا كثيرة، فقد مدح المعتصم فلما انتهى الى قوله:

اقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم احنف في ذكاء اياس

قال له الكندي: الامير فوق ما وصفت. فأطرق قليلا ثم رفع راسه وانشد:

لا تنكروا ضربي له من دونه مثلا شرودا في الندى والباس
فالله قد ضرب الاقل لنـوره مثلا من المشكاة والنبـراس

فعجبوا من سرعة خاطره « ٣ »

وهناك امثلة كثيرة عن سرعة بديهته .

وتبدو أجوبته مفحمة اذا سئل . ومن ذلك انه انشد الحسن بن رجاء، فأعجب الحسن بقوله، فوقف في وسط القصيدة اعظاما له، اذ أقسم ليسمعنها واقفا فلما انتهى ابو تمام من انشادها، تعانقا وجلسا، فقال له الحسن: ما احسن ما جليت هذه العروس فقال ابو تمام: والله لو كانت من الحور العين لكان قيامك لها اوفى مهورها « ٤ » وقد ابتدع ابو تمام لنفسه نهجا جديدا هو ان تكون الالفاظ الحقيقية والمجازية في يده يتصرف بها ويبتكر، ومن هنا

---

(١) مروج الذهب، ص٦٩—٧٠ .
(٢) شوقي ضيف: العصر العباسي الاول — ص ٢٧٨
(٣) الصولي: ص٢٣١ ؛ امالي المرتضى ج١ — ص٢٨٩
(٤) اخبار الصولي : ص١٧٠

لامه بعض العلماء . وعدوا عمله هذا عدوانا على اللغة، ولكنه لم يكن يبالي الابما صوره لنفسه « ١ » وهذه العبقرية جعلت اهل بغداد يتعصبون له . وجعلت امثال احمدبن ابي دؤاد وابن الزيات يعدونه اشعر اهل الارض طراً «٢».

وقد امتاز بمذهب في الصنعة سبق به الشعراء وان كانوا قد فتحوه قبله، وقالوا القليل منه . فان له فضل الاكثار فيه، وسلوك جميع طرقه « ٣ ». وهذا رأى الدكتور البهبيتي. ويقول خضر الطائي في كتابه عن ابي تمام ان اول من حلى الشعر العربي بهذه الصناعة هو مسلم بن الوليد « ٤ » وهذا قول معروف ولكن ابا تمام اجاد فيه اجادة تامة بالاضافة الى كونه من المقدمين بحسن الديباجة ، ورقة العبارة واجادة الرثاء « ٥ » ومطلع قصيدته التي يرثى بها محمد بن حميد الطوسي، تعد مثلا اعلى من الرثاء:

الافليجل الخطب وليفدح الامر فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

قال صاحب الاغاني : ان له مذهبا في المطابق ، وهو كالسابق في جميع الشعراء وان كانوا قد فتحوه وقالوا القليل منه ، فان له فضل الاكثار فيه ، والسلوك في جميع طرقه «٦» .

وانكر الامدى هذا الفضل على ابي تمام وقال : ان استكثاره منه ، وافراطه فيه من اعظم ذنوبه واكبر عيوبه «٧» .

وبين ابن رشيق فضل ابي تمام فقال : انه كان يجيد التصنيع «٨» .

اما الجرجاني فذكر ان ابا تمام كان يجمع احيانا المعنى البديع الى الصنعة اللطيفة «٩» واعتبره هو وابا نواس سيدى المطبوعين وامامي اهل الصنعة «١٠» .

وسبب اشتهار ابي تمام في المطابق والمجانس ونسبتهما اليه ، لا لانه

---

(١) عبدالعزيز سيد الاهل : عبقرية ابي تمام ص١٠٤، ١٠٥

(٢) الاغاني : جـ١٥، ص٩٧ .

(٣) الاغاني : جـ١٥ — ص ١٠٠

(٤) خضر الطائي : ابو تمام ص٩٩ .

(٥) ابن رشيق : العمدة — جـ٢ — ص ١١١٩ .

(٦) الاغاني جـ٥، ص٩٦

(٧) الموازنة — ص٨

(٨) العمدة، جـ٢ — ص٣٢

(٩) عبدالعزيز الجرجاني : الوساطة، ص٣١

(١٠) المصدر السابق ، ص٧٩ .

اخترعهما ، فقد طرقهما الشعراء من قبله بل لانه فضل الشعراء جميعا فيه ، واكثر منه ، وسلك جميع شعبه . وكثر الجدل حوله بعد ان بالغ في سلوك هذا السبيل ، فأوقعه هذا الولوع في التعسف والشطط . ولكن النقاد والعلماء الذين يلتزمون بمعايير الكلام ، يعدون ان الجيد من شعره كثير . وانه لايلحقه احد في جيده ولا يشق غباره «١» .

وقد استحال الشعر في يد المولدين الى صناعة يطلب فيها المعنى مع مراعاة تنسيق الالفاظ والزينة فيقابل بين اللفظة وتلك وبين المعنى وقرينه ويلاحظ الرنين والجرس واللين والجفاء وقد يعسر عليه ذلك كما يقول البهبيتي «٢» : فيفضل المعنى على اللفظ فيخشن ويستوحش او يجوز اللفظ على المعنى فينتقص ويغمض ويشتبه الشعر بالفلسفة ويخرج الشعر عن الدائرة التي وضعت له الى دائرة النثر الفني . وهذا قول مردود لان عناية ابي تمام بالتصنيع واتجاهة الى البديع المعنوي دعاه الى الاهتمام بالاستعارة والمجاز والتشبيه وانواع البيان بالاضافة الى اللمسات الرقيقة والشاعرية الجميلة والاحساس المتدفق للكثير من قصائده ، كما بينا سابقا بشهادة النقاد القدامى والمحدثين .

وقال البهبيتي ايضا : انه يعنى بالمقابلة بين معنيين متضادين في البيت ، كحجمان وطوع ورضى ، وغضب ، ومجلبب وفاضل . ولكن ذلك لايؤثر في اتساق البيت وجماله باعتراف البهبيتي فقد روعيت الموسيقى اللفظية واتسعت المقاطع وحفظ التناسب ، كما في هذا البيت :

بمختبل ساج من الطرف احور ومقتبل صاف من الثغر اشنب

فكل كلمة في الشطر الاول تقابلها نظيرتها ومثيلتها في الشطر الثاني مما يدل على قصد واعتماد لذلك «٣» .

ولكن التنسيق والزخرف عند ابي تمام جزء من مشاعره واحاسيسه وكل

---

(١) محمد محيي الدين عبدالحميد : شرح ديوان ابي تمام ص٧ .

(٢) البهبيتي : ابو تمام ، ص ١٨٦

(٣) البهبيتي : ابو تمام الطائي ، ص٨

بيت من ابياته جزء من نفسه فقد روى ابن رشيق : انه استأذن على ابي تمام فوجده ينقلب يمينا وشمالا ، فقال له : هل بلغ بك الحر مبلغا شديدا ؟
قال : لا ، بل غيره . ومكث كذلك ساعة ، ثم قام كأنما اطلق من عقال .
فقال : الآن اردت ثم استمد ، وكتب شيئا لم يعرفه ابن رشيق ، ثم قال :
اتدري ماكنت فيه منذ الان؟ كنت في قول ابي نؤاس :

كالدهر فيه شراسة وليان

اردت معناه فشمس علي حتى امكن الله منه فصنعت :

شرست بل لنت بل قانيت ذاك بذا فانت لاشك فيه السهل والجبل «١»

وكان ابو تمام يشقى في بناء واستنباط معانيه ، وكان يشعر بغرابة الفاظه التي يصطادها في اشعاره ، لانه يطلب الاغراب في فنه ، لكي يسبغ على شعره كل ما يمكن من الجمال والروعة .
وقد عاش لصناعته ، ينميها ويزيدها حليا ووشيا وترصيعا «٢» . وصور ذلك في شعره :

خذها مثقفة القوافي ، ربها لسوابغ النعماء غير كنود
حذاء تملأ كل اذن حكمة وبلاغة وتدر كل ورید
كالدر والمرجان ألف نظمه بالشذر في عنق الفتاة الرود
كشقيقة البرد المنمنم وشيه في ارض مهرة او بلاد تزيد

والدليل على ذلك ، ان من جاء بعده من الشعراء ، قلدوا صنعته ، بعد ان استقرت استقرارا كاملا ، عندما اخذت الفلسفة تتوطد دعائمها ، بعد ان ظفر العقل الاسلامي ، طفرة واسعة فاخذ الشعر العربي يتطور مع الفكر في الوان من التعبير تتطلب لاجمال اللفظة فقط بل عمق الفكر وغدا الشعر فنا يصنع صناعة «٣» . وقد كان للغة السريانية التي نقل عنها العرب الكثير من كتب اليونان اثر في الاساليب ودراسات البلاغة والخطابة والشعر والاهتمام باللفظ والرخص الشعرية ، وتجميل العبارة ، والاهتمام بموسيقى اللفظ

(١) العمدة ج١، ص١٣٩ (٢) شوقي ضيف : الفن ومذاهبه ، ص٢٢٦.
(٣) البهبيتي : ابو تمام ، ص١٨٤

والبديع حتى سمعنا ابا تمام يحدث البحتري عن الاستطراد في الشعر ويضرب له المثل «١» .

كما نسمع الخليل والاصمعي قبل ان يكتب ابن المعتز كتابه «البديع» يتحدثان عن المطابقه والوان البديع «٢».

ويقول ابن المعتز في مقدمة كتابه البديع : قد قدمنا في كتابنا هذا بعض ماوجدناه في القرآن من الكلام الذي سماه المحدثون البديع ليعلم ان بشارا ومسلما وابا نؤاس ومن تقبلهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا الى هذا الفن ولكنه كثر في اشعارهم فعرف في زمانهم ثم ان حبيب بن اوس الطائي من بعدهم شغف به ، حتى غلب عليه ، وتفرع فيه ، واكثر منه ، فاحسن في بعض ذلك واساء في بعض .

ويقول ابن رشيق : ويزعم بعض المتعصبين ان الذي اكثر في هذا الباب ابو تمام وتبعه الناس من بعده «٣» .

ويقول الجرجاني في حديثه عن الاستعارة : وقد كانت الشعراء تجري على نهج قريب من الاقتصاد حتى استرسل فيه ابو تمام ومال الى الرخصة فاخرجه الى التعدي وتبعه اكثر المحدثين «٤» .

والسبب في ذلك يرجع الى ثقافة ابي تمام الواسعة والى تعمقه الفلسفة اليونانية فهو تلميذ لأرسطو حين يجمل اللفظ وحين يطلب البديع.وان الزينة اللفظية عنده لم تكن الا وسيلة

يستعيض بجمال موسيقاها. وقد اخطأ ابن رشيق حين عارض ابن الرومي في قوله عن ابي تمام:«ان الطائي كان يطلب المعنى ولا يبالي بلفظ حتى لوتم له المعنى بلفظة نبطية لاتى بها » وقال بعض من نظر بين ابي تمام وابي الطيب: انما حبيب كالقاضي العادل يضع اللفظة موضعها ويعطي المعنى

(١) العمدة :جـ٢ ؛ ص٣٢ ، ٣٣

(٢) العمدة :جـ٢ : ص٧ ، ٨ ، اعجاز القرآن للباقلاني ص٤١ ، ٤٣

(٣) العمدة : جـ٢ ، ص١٥

(٤) الوساطة : ص ٣٢٣

حقه بعد طول النظر والبحث عن البيئة او كالفقيه الورع يتحرى في كلامه ويتحرج خوفا على دينه . وابو الطيب كالملك الجبار يأخذ ماحوله قهرا او عنوة ، يهجم على مايريده لايبالي مالقي ولا حيث وقع «١» .

والسبب الذي دعا بعض النقاد القدامى والمحدثين الى مهاجمة الشاعر ، انه اتى بأشياء لم يألفها العرب في شعرهم فاذا وصف الحلم وصفه برقة الحاشية واذا اراد ان يصف دقة الخصر قال :

من الغيد لوان الخلاخل صورت لها وشحا جارت عليها الخلاخل

وهم ينكرون ان يكون الخلخال وشاحا والخلخال عندهم شيء ضيق .

وقال الامدي : ان هذا الجسم الذي يتخذ الخلخال وشاحا هو اشبه بجسم الجمل «٢».

و قول الامدي يعتمد على الصراع الذي كان قائما بين القديم والجديد فقد كان العصر العباسي الاول عصر تجدد مادي ونفسي وعقلي فمن البديهي ان لصاحبهم تجددا ادبيا في نمط القصيدة . والثورة على التقاليد الشعرية العربية القديمة بالاضافة الى الامتزاج الدموي والعقلي بين العرب والفرس والسريان والهنود في تلك الامبراطورية العربية المترامية الاطراف . فمن العبث انكار تأثر البديع العربي اذ ذاك بالادبيات الغريبة عنه ، اما اللفظ فقد صفي ونقي وجود وقد استعملت الفاظ مولدة من الفارسية واليونانية واخذ البديع العربي يظهر بمظهر جديد . وقد نشأت هذه المعارضة للشعر الجديد بعاملين : اولهما :الحنين الى الماضي ،وثانيهما :ان ذلك العصر كان عصر الجمع والتدوين لاثار الماضين فاقبل الناس على قراءة القديم واستيضاح معانيه وخصائصه لاقامة حياتهم على ماضيهم والتعصب للقديم خاصة بعد التسلط الاجنبي في عصر المأمون والمعتصم ومابعد هما .

وحدث صراع قوي بين انصار القديم وانصار الحديث لايعتمد على النقد

---

(١) البهبيتي: ابو تمام، ص ٢٠٠

(٢) اخبار ابي تمام، ص ١٠٥، ١٠٦

الموضوعي ، بل على التعصب والعناد فالناس جميعا كانوا يحبون الشعر الحديث والعلماء منهم كذلك وان تعصبوا للقديم . ونجد ذلك في قصة ابن الاعرابي وشعر ابي تمام وفي قصة ابي رياش القيسي وشعر البحتري وغيرهما «١» .

وقد استخدم ابو تمام الوان التصنيع القديمة فاقتدى بمسلم ، ولكن تفوق على استاذه في الاكثار من الوشي والوانه . وقد لاحظ ذلك القدماء ويقول الباقلاني : وربما اسرف ابو تمام في المطابق والمجانس ووجوه البديع من الاستعارة حتى استثقل نظمه واستوخم رصفه «٢» .

ولكن ابا تمام استطاع ان يخلق الصور الجميلة عن طريق الجناس ، تلك الصورة التي لم نتعرف عليها من قبل . كقوله في مطلع قصيدة لابن الزيات :

متى انت من ذهلية الحي ذاهل وقلبك منها مدة الدهر آهل
تطل طلول الدمع في كل موقف وتمثل بالصبر الديار المواثل

الى آخر القصيدة .

ويؤيد الدكتور شوقي ضيف موقف ابي تمام في الوان التصنيع التي استخدمها فيقول : انه استخدم طريقتين : الاولى ، متعاقبة لايتعلق بعضها ببعض كما نجد ذلك عند مسلم وعند جماعة من الصناعيين في القرن الثالث من امثال البحتري اما الطريقة الثانية فتمتزج فيها الالوان ويمر بعضها ببعض فتتغير شياتها وهيئاتها كما نجد عند ابي تمام في اكثر احواله «٣» .

كما استخدم الطباق واضاف اليه الصورة والحركة ويشاكل بين الصورة والتصنيع اذ يقول :

اظن الدمع في خدي سيبقى رسوما من بكائي في الرسوم

اذ جعل آثار الدمع في خده كآثار ديار المحبوبة . وكقوله يصف صواحبه :

لآليء كالنجوم الزهر قد لبست ابشارها صدف الاحصان لا الصدفا

---

(١) الوساطة : ص ٥٠ ، ٥١

(٢) اعجاز القرآن : ص٥٣

(٣) الفن ومذاهبه ص٢٣٠ .

فهن لآلىء متسربلات بالعفاف والطهر «١» .

وقد ذكرت له كتب البلاغة القديمة والحديثة نماذج كثيرة من الجناس والطباق . واستشهدت بابيات من شعره . لتوضيح الموضوعات البديعية . فقد فرع التبريزي من باب التجنيس ضربا سماه التجنيس المستوفي ؛ وهو ان تتشابه الكلمتان لفظا وخطا ، واحداهما اسم والاخرى فعل . وانشد فيه قول ابي تمام :

ما مات من كرم الزمان فانه يحيا لدى يحيى بن عبدالله « ٢ »

واستشهد في باب التوهيم اذ قال : ان التوهيم توهيم يوهم انه طباق او تورية او غير ذلك من المحاسن كقول ابي تمام :

تردى ثياب الموت حمرا فما اتى لها الليل الا وهي من سندس خضر

فان قوله : حمر وخضر يوهم ان ذلك طباقا وليس بطباق اذ الاحمر لايضاد الاخضر فهذا شاهد توهم المطابقة «٣» . كما استشهد في باب المناسبة بقول ابي تمام :

مها الوحش الا ان هات اوانس قنا الخط الا ان تلك ذوابل

فناسب بين مها وقنا مناسبة تامة وبين الوحش والخط واوانس وذوابل مناسبة غير تامة وهذا البيت من افضل بيوت المناسبة لما انضم اليها فيه من المحاسن فان فيه مع المناسبتين التشبيه بغير اداة ، والمساواة والاستثناء والطباق اللفظي ، وائتلاف اللفظ مع المعنى والتمكين «٤» .

واعتمد ابن الاثير في كتابه (المثل السائر) على ابيات كثيرة من شعر ابي تمام لشرح انواع التجنيس فاخذ للتجنيس الحقيقي قوله :

فاصبحت غرر الايام مشرقة بالنصر تضحك من ايامك الغرر

---

(١) الفن ومذاهبه ، ص ٢٣١ .

(٢) تحرير التحبير ، ص ١٠٤

(٣) تحرير التحبير ، ص ٣٥١ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٣٦٨-٣٦٩ .

فالغرر الاولى استعارة من غرر الوجه والثانية من كرم الشيء فاللفظ واحد والمعنى مختلف وكذلك قوله :

من القوم جعد ابيض الوجه والندى وليس بنان يشتدي منه بالجعد

فاحدهما يصف به السخي والاخر يصف به البخيل «١».

والامثلة كثيرة.

كما اعتمد على ابيات من شعر ابي تمام في المشبه بالتجنيس كقول ابي تمام:

ايام تدمي عينه تلك الدمى فيها وتقمر لبه الاقمار

وكقوله:

بيض فهن اذا رمقن سوافرا صور وهن اذا رمقن صوال «٢»

واستشهد كما استشهد ابن الاثير بالتجنيس المعكوس ما روى عن ابي تمام انه لما قصد عبد الله بن طاهر بن الحسين بخراسان وامتدحه بقصيدته المشهورة التي مطلعها:

اهن عوادي يوسف وصواحبه فعزما فقدما ادرك السؤل صاحبه

انكر عليه ابو سعيد الضرير وابو العميثل هذا الابتداء وقالا: لم لا يقول ما يفهم؟فقال: لم لا يفهمان ما يقال؟ فاستحسن منه هذا الجواب على الفور وهو التجنيس المشار اليه «٣».

كما استشهد ابن الاثير على المشبه بالتجنيس المتساوي في الوزن والتركيب مع تقدم الحروف وتأخرها قول ابي تمام:

بيض الصفائح لاسود الصحائف في متونهن جلاء الشك والريب «٤»

كما استحسن الجرجاني لابي تمام جناسه الناقص:

---

(١) ابن الاثير، المثل السائر، ص٣٤٣ — ٣٤٦.

* الشبه بالتجنيس هو ان تكون الالفاظ متساوية في الوزن مختلفة بالتركيب بحرف واحد لاغير.

(٢) المثل السائر ؛ ص ٣٥٣ — ٣٥٥.

(٣) المثل السائر، ص٣٥٨.

(٤) المصدر السابق، ص٣٦٠.

يمدون من ايد عواص عواصم تصول باسياف قواض قواضب «١»

كما اكثر من الطباق المختلف لاظهار معانيه الفلسفية وذلك لصلته بالمنطق والفلسفةو كثرة استخدامه الادلة المنطقية ، كقوله :

هي البدر يغنيها تورد وجهها الى كل من لاقت وان لم تورد

فانظر الى صاحبته فهي تود من لا تود وهو يثبت هذا التضاد الغريب بتلك المفارقة الطريفة. وكان ابو تمام يقصده احيانا ويسميه «توافر الاضداد» فيقول في مديح ابي دؤاد :

قد غرستم غرس المودة والشحناء في قلب كل قاري وبادي

ابغضوا عزكم وودوا انداكم فقروكم من بغضه ووداد

لاغدقتم غريب مجد ربقتم في عراه توافر الاضداد «٢»

وكقوله في وصف الربيع :

لما بكت مقل السحاب حيا ضحكت حواشي خده التلب

فكأنه صبح تبسم عن سحر ضئيل في ضحى شحب

وكقوله :

ياصاحبي تقصيا نظريكما تريا وجوه الارض كيف تصور

تريا نهارا مشمسا قد شابه زهر الربى فكأنما هو مقمر

فقد امتزجت اصباغ الطباق عند ابي تمام، بهذه الاصباغ الفلسفية الغريبة من توافر الاضداد، وكأنه يحررنا من عقال الزمان والمكان الى عالم طليق من الوهم «٣» .

وقد اطلق انيس المقدسي على ذلك اسم « التأنق البديعي » «٤» في مدح ابي تمام لابن الزيات لأن القصيدة مليئة بالرونق والجمال والصفاء :

---

(١) الوساطة ، ص٤٣ .

(٢) الفن ومذاهبه ، ص ٢٥٠ .

(٣) المصدر السابق ، ص٥٣ .

(٤) انيس المقدسي ، امراء الشعر ، ص١٨١ .

تطل الطلول الدمع في كل موقف وتمثل بالصبر الديار المواثل
دوارس لم يجف الربيع ربوعها ولا مرخ اغفالها وهو غافل
فقد سحبت فيها السحائب ذيلها وقد اخملت بالنور منها الخمائل
مها الوحش الا ان هات اوانس قنا الخط الا ان تلك ذوابل

وقد عد صاحب اعيان الشيعة ما يقرب من اربعين نوعا من البديع الذى هو من محسنات الكلام وعد غيره له انواعا اخرى «١» .

واكثر بديعه يأتي عفو الخاطر بلا تعمل ولا قصد يتطلبها المعنى كالطباق والجناس في قوله :

السيف اصدق انباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

وقوله :

اذا احسن الاقوام ان يتطاولوا بلا نعمة احسنت ان تطـول

وقوله :

بيض اذا انتضت من حجبها رجعت احق بالبيض ابدانا من الحجب

وامثاله كثير ... وقد اعاب عليه البعض افراطه في استعمال البديع وتعمده التجنيس والطباق والارصاد، الى سقطات كان غنيا عنها ، كقوله :

فاسلم سلمت من الافات ماسلمت سلام سلمى ومهما اورق السلم «٢»

كما اعاب عليه عبد القاهر الجرجاني تجنيسه ايضا «٣» .

وعده البعض تهويشا لانه يصرف الذهن عن السير وراء المعنى ويسمره عن نغمة اللفظة «٤» .

ان الغموض الذي يكتنف شعر ابي تمام وليد نهضة ادبية «٥» . ومن اهتمامه

---

(١) عبقرية ابي تمام، ص٩٤.
(٢) بطرس البستاني، ادباء العرب، ص١٠٧—١٠٨
(٣) اسرار البلاغة، ص٤ — ١٠ .
(٤) عبقرية ابي تمام، ص٩٦
(٥) الفن ومذاهبه ، ص ٢٤١ .

بعلوم عصره ، كما ان الصلة بعصره وثقافة عالمه المتفلسف تمثل في طلبه المعنى الغريب طلبا مبالغا فيه واختياره اللفظ واشارته الى بعض المذاهب الفلسفية كالجهمية والجعفرية واستخدام بعض الفاظ الفلسفة كالجوهر والعرض وضربه الامثال باحداث من التاريخ «١» .

وعن الانسكلوبيديا الكولومبية : ويعرف عن قصائده غالبا بحوادثها التاريخية التي تعتبر بمثابة مصادر مهمة في التاريخ «٢»

وينكر خضر الطائي ان التعقيد في شعر ابي تمام كان بتأثير الفلسفة، ويعزو ذلك الى انه خالف سنة القول الماثورة عند العرب في فقه لغتهم وانه اغرب في العبارة اغرابا ابعدها عن التناول الا بتأمل «٣» .

واتهمه الدكتور طه حسين بانه بدأ التعقيد في الشعر العربي «٤» . وانكر الجرجاني في اسرار البلاغة والمرزباني في الموشح على ابي تمام كثرة استعمال الغريب المصدود عنه من الكلمات واسماء الامكنة وان كلامه اقرب الى تفسير بقراط منه الى الشعر «٥» .

وقال عنه الامدى : انه شديد التكلف، صاحب صنعة، ويستكره الالفاظ والمعاني، وشعره لا يشبه اشعار الاوائل ، ولا على طريقتهم، لما فيه من الاستعارات البعيدة، والمعاني المولدة، وانه ينحط عن درجة مسلم، لسلامة شعر مسلم وحسن سبكه وصحة معانيه، ويرتفع عن سائر من ذهب هذا المذهب وسلك هذا الاسلوب لكثرة محاسنه وبدائعه واختراعاته «٦» .

وقال عنه ابن رشيق القيرواني « يأتي للاشياء من بعد » ومعنى ذلك هيامه

---

(١) البهبيتي، ابو تمام ص ١١٢

(٢) Encyclopedia of columbia - 1963

(٣) خضر الطائي، ابو تمام، ص٨٣-٨٤ .

(٤) طه حسين، من حديث الشعر والنثر ، ص٩٢ .

(٥) بروكلمان؛ ج٢ ص٧٣ .

(٦) الامدي، الموازنة، ص٦ .

بالغريب من المعاني «١» .

وقال عنه الجرجاني: لم يرض بهاتين الخلتين — يقصد غرابة اللفظ وتطلب البديع — حتى اجتلب المعاني الغامضة، وقصد الاغراض الخفية، فاحتمل فيها كل غث ثقيل، وارصد لها الافكار بكل سبيل، فصار هذا الجنس من شعره اذا قرع السمع لم يصل الى القلب الا بعد اتعاب الفكر، وكد الخاطر والحمل على الكريهة «٢» .

واكد انيس المقدسي ذلك اذ قال: ان من يطالع ديوانه يقف حائرا امام طلاسمه وغموض معانيه «٣». ولكنه استدرك قائلا: ولكن اذا راضت له بالدرس والتفكر رأى فيها ما يلذه من صور جميلة ومعان رشيقة «٤» ومثال ذلك مطلع قصيدته لعبد الله بن طاهر التي مر ذكرها، وذكر انه لما بدأ بانشاد هذه القصيدة في مجلس الامير قيل له: لم تقول ما لا يفهم؟ فاجاب السائل: لم لا تفهم ما يقال؟

وقد وصف الشاعر قصائده بقوله:

فكأنما هي في السماع جنـادل وكأنما هي في القلوب كواكب
وغرائب تأتيك الا انهـا لصنيعك الحسن الجميل اقارب

وجاء في كتاب الموازنة: كان ابو تمام يتتبع حوشي الكلام، ويتعمد ادخاله في شعره «٥» .

وقال الامدي: كان ابو تمام مشغوفا بالشعر مشغولا مدة عمره بتخيله ودراسته، وله كتب اختياراته فيها مشهورة: منها الاختيار القبائلي الاكبر. وقد مر على يدي هذا الاختيار ومنها اختيار تلقط فيه اشياء من الشعراء المقلين والشعراء المغمورين ويلقب بالحماسة، وهو اشهر اختياراته. ومنها اختيارات المقطعات

---

(١) ابن رشيق: العمدة ج١، ص ٨٥
(٢) الوساطة، ص ٢٤—٢٥ .
(٣) آراء الشعر العربي في العصر العباسي، ص ٢٠٧ .
(٤) المصدر السابق، ص ٢٠٧ .
(٥) الموازنة، ص ١٢٠.

يذكر فيه اشعار المشهورين وغيرهم والمتقدمين والمتأخرين. وهذه الاختيارات تدل على عنايته بالشعر، وانه اشتغل به وجعله وكده، واقتصر من كل الاداب والعلوم عليه. فانه ما من شيء كبير من شعر جاهلي ولا اسلامي ولا محدث الا قراه واطلع عليه «١». وقيل: انه كان يحفظ اربعة عشر الف ارجوزة غير القصائد والمقاطيع، وقال هو عن نفسه: لم انظم الشعر حتى حفظت سبعة عشر ديوانا للنساء خاصة دون الرجال «٢».

ولعل ذلك راجع في الاكثر الى كثرة محفوظه ودرسه شعر الاقدمين وشغفه بالقديم وشدة اعجابه بشعره حتى لم يكن ليرضى ان يمسه بادنى تهذيب.

قال ابو هلال العسكرى: كان ابو تمام يرضى باول خاطر فنعي عليه عيب كثير «٣». وعن الاغاني روى عن بعض الشعراء ان أبا تمام انشده قصيدة له احسن في جميعها الا في بيت واحد فقال له: يا ابا تمام لو القيت هذا البيت ما كان في قصيدتك عيب. فقال له: انا، والله، اعلم منه مثلما تعلم، ولكن مثل شعر الرجل عنده مثل اولاده، فيهم الجميل والقبيح والرشيد والساقط وكلهم حلو في نفسه «٤». ويعلل تعقيده باختلاف البيئة والاستعداد الفكرى وطبيعة العنصر. وانكر خضر الطائي ان يكون للعنصر اليوناني والثقافة اليونانية اثر في هذا التعقيد «٥».

ولكن احدا لا ينكر ان ثقافته الواسعة وازدياد معرفته بالعلوم والشعر والرواية صبغوا شعره بالتعقيد لانه اراد ان يعمق الشعر عن طريق الفاظ ذات دلالات والوان عدة ليقربها الى السامع ففشل مع القارىء السطحي ونجح مع القارىء المثقف وان الذين لم يفهموه كان السبب في عدم فهمهم دقة معانيه

---

(١) الموازنة، ص٢٣، ٢٤.
(٢) ابن خلكان، ج١ ص١٧٠.
(٣) امراء الشعر العربي في العصر العباسي؛ ص ٢١٣.
(٤) الاغاني، ج١٥ ص١٠٠
(٥) خضر الطائي: ابو تمام، ص١٠٤ — ١٠٥.

وقصورهم عن فهمه، وقد فهمه العلماء واهل النفاذ في الشعر فاذا عرفت هذه الطبقة فضله لم يضره طعن من طعن بعدها عليه «١» كما انه عمد الى اظهار علمه باللغة وبكلام العرب فتعمد ادخال الفاظ غريبة في مواضع كثيرة من شعره مثل قوله :

هن البجارى يا بجير اهدى لها الأبوس الغوير

وقوله :

قدك اتئب اربيت في الغلواء

وقوله :

امرم بكر تبارى ايها الحفض «٢»

والدليل على ذلك انه افتتح الكثير من قصائده ببكاء ديار الحبيبة ومخاطبة الطلول برغم انه زعيم المحدثين في الشعر العربي وكانما كان يتحدى بذلك مذهب ابي نواس تحديا دافعه العصبية للعرب على العجم وكذلك وصفه الرحلة الى ممدوحه وذكر الصحراء والابل والظلام واغراقه في ذلك احيانا اغراقا يقارب بين شعره وشعر الجاهلية «٣». ويغلب التكرار على لفظ ابي تمام فيجعله ظاهرة من ظواهر شعره وهي مرصعة ببديعه وكان القدماء يسمونها رد الاعجاز على الصدور «٤». وامثلته على ذلك كثيرة يمتليء بها ديوانه ، كقوله :

الجو جوى اذا غنمت بغبطة والارض ارض والسماء سمائي

وقوله :

لم يعط نازلة الهوى حق الهوى دنف اطاف به الهوى فتجلدا

وليس هذا التكرار بسبب الضعف او العجز او الافتقار الى الفكرة «٥»

---

(١) الامدي، الموازنة، ص١٩ .
(٢) الامدي، الموازنة ص٢٥ .
(٣) البهبيتي؛ ابو تمام ، ص١١٢ .
(٤) كتاب البديع لابن المعتز ؛ ص٤٧-٤٨ .
(٥) البهبيتي، ابو تمام، ص٢٣٥، ٢٣٦ .

وهو لا يجمد عند الصور التي تشيع في جمهور اهل الادب بل يستنبط الصور فهو يصطاد المعاني كما يصطاد الالفاظ فعندما نظم قصيدته البائية التي اولها:

على مثلها من اربع وملاعب اذيلت مصونات الدموع السواكب

حتى اذا انتهى الى قوله:

واحسن من نور يغنمه الندى

وقف عند هذا الشطر واذا بسائل يسأل على الباب: من بياض عطاياكم في سواد مطالبنا! فالهم ابو تمام الشطر الثاني من البيت فقال:

بياض العطايا في سواد المطالب «١»

وقال عنه ابن الاثير يصف الفاظه: كأنها رجال قد ركبوا خيولهم واستلأموا سلاحهم وتأهبوا للطراد «٢». وقد اطلع ابو تمام على انواع شتى من الصور الادبية في كلام العرب وحين رأى بشارا وابا نواس وابن الوليد، جروا على تميزها، واستعملوها في شعرهم، تبين فكرتهم، وصهرها في بودقته، ثم ابرزها للناس بعد ان دبجها بزي بلغ غاية الصنعة في الحدود التي رسمها الشعر العربي للشعراء من قبل. وقد ابتدع ابو تمام نظرية جديدة في الشعر هي ان كل الفاظ اللغة من حقيقة ومجاز يصرفها بين يديه ويبتكر لغة مجازية لهذه اللغة التي سارت كأنها ملكة، وقد افسد هذا التعمل طائفة من شعره ولكنه وافق طبعه في كثير منه فادى الى احسن النتائج وافضلها «٣». ومن هنا لامه بعض العلماء وعدوا عمله عدوانا على اللغة ولكن الرجل لم يبال الابما صوره لنفسه وما اخذ يحققه من آمال وبينما كان الناس يحاورون في تفسير تفاعيله كان هو ماضيا يعمل بقانونه الخاص ويحيا لاجله ويكافح في سبيله. وما كاد الشاعر يحتل مكانه بين الشعراء ويقربه الخلفاء والامراء

---

(١) عبقرية ابي تمام؛ ص ١٢١ — ١٢٢ .

(٢) المثل السائر ، ص١٠٦ .

(٣) محمد مهدي البصير : في الادب العباسي ، ص ٢٢٣

ويذيع صيته، حتى كثر الخلاف حوله . ولم يكن ابوتمام ليهتم كثيرا بذلك لانه يعرف حق المعرفة انهم حساد لانقاد لأنه عرف كيف يصل ولم يعرفوا فانقطعوا. واصبحت العداوة لابي تمام بدعة العصر ، لان البعض كان يعتقد ان الرجل لايكمل ادبه الابالطعن على العلماء والجهابذة والوضع من ماضيهم والاستحقار لباقيهم «١».

وقد اسرفوا في ذكر عيوب الطائي بما يشبه التجني . فقد عابوه على اكثاره من الصنعة وعلى الفاظه واستعاراته ومجازاته وبديعه . والكثير من هذه العيوب لاتعد عيوبا اذا ما نظر اليها بمنظار النقد الموضوعي . فقد جاء في العمدة :

والعرب لاتنظر في اعطاف شعرها بان تجنس او تطابق او تقابل فتعترك لفظة للفظة او معنى لمعنى كما يفعل المحدثون ولكن نظرها في فصاحة الكلام وجزالته وبسط المعنى وابرازه واتقان بنية الشعر واحكام عقد القوافي . وتلاحم الكلام . واستطرفوا ماجاء من الصنعة نحو البيت او البيتين في القصيدة . يستدل بذلك على جودة الشعر وصدق حسه . وصفاء خاطره . فاما اذا اكثر ذلك منه . فهو عيب يشهد بخلاف الطبع وايثار الكلفة «٢» .

وكان ابو تمام اكثرهم مخالفة للطبع وايثارا للكلفة فهو صاحب مذهب جديد . فقد كان شعره يصعب على رجل كثعلب . فكان يطلب ممن اطلع عليه ان يدرسه ثم يشرحه له «٣» فكيف بالقارىء الاعتيادي ؟ ! ولكن كتب البلاغة استعانت بشعر ابي تمام لتوضيح الموضوعات البلاغية بايراد امثلة من شعره ونجد ذلك كثيرا في كتاب المثل السائر لابن الاثير فقد استعان بقول ابي تمام :

قد بلونا ابا سعيد حديثـــا وبلونا ابا سعيد قـديمـا
ووردناه ساحلا وقليبـــا ورعيناه بارضا وجميمـا
فعلمنا ان ليس الا بشق النفـ ـس صار الكريم يدعى كريما

---

(١) الصولي، ص٦ .
(٢) العمدة، ج١ ص ٨٢ .
(٣) الصولي، ص١٤ .

يقول ابن الاثير : فالساحل والقليب يستخرج منهما تأويلان مجازيان «١». الى اخر الحديث . واورد قول ابي تمام :

بالشعر طول اذا اصطكت قصائده في معشر وبه من معشر قصر

جاء به مثلا على التأويل بالمعنى «٢».

واستشهد بقوله :

كم صارم عضب اناف على فتى فهم لأعباء الوغى حمـــال

سبق المشيب اليه حتى ابتـزه وطن النهى من مفرق وقذال

فقد جاء بالبيت الثاني كمثال على اللفظة المناسبة في المكان المناسب «٣» .

واستحسن منه اخذه الكلمات من افواه الناس واستخدامها في الشعر «٤» . كما اخذ من شعره مثالا على الشعر الجميل الذي لايمكن ان ينثر اذ يعسر على الناثر تبديل الفاظه :

تردى ثياب الموت حمرا فما اتى لها الليل الا وهي من سندس خضر «٥»

واتخذه مثالا في تجديد المعاني «٦» .

كما انه لم يدع بابا من ابواب البلاغة الا استشهد بها بامثلة من شعره «٧» .

كما استشهد عبد القاهر الجرجاني في كتابيه ،دلائل الاعجاز واسرار

---

(١) المثل السائر ، ص٩٠–٩١ وكذلك ص١١٧ وكذلك في كتاب اسرار البلاغة للجرجاني ، ص٢٨٨ .

(٢) المثل السائر ، ص٨٤ .

(٣) المصدر السابق ، ص٩٨ ، ٤٠٠ .

(٤) المصدر السابق ، ص١٠٤ .

(٥) المصدر السابق ، ص١٣٣–١٣٤ .

(٦) المصدر السابق ، ج٢ ص٧ .

(٧) المصدر السابق ص١٣٤ ، ٢٩٣ ، ٢٥٣ ، ٢٥٧ ، ٢٦٤ ، ٣٣٩ ، ٣٤١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٨١ ، ٣٨٤ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٧ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ج٢ ص٥٨ ، ٦١ ، ١٠١ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٣٠ ، ١٣٨ ، ١٤٣ ، ١٥٠ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٣٥١ ، ٣٥٣ ، ٨٠ — ٨١ ، ٨١ ، ٨٧ ، ٢٨٨ ، ٣٦٥ ، ١٥٥ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ .

البلاغة ، بالكثير من شعره «١» .

وقد امتاز ابو تمام بحسن استخدامه للمعاني والالفاظ عن طريق المجاز والاستعارة والتشبيه ، كقوله واصفا جنديا عباسيا :

خلط الشجاعة بالحياء فاصبحا كالحسن شيب لمغرم بدلال

وكقوله في تشبيه صورة بمعنى :

وفتكت بالمال الجزيل وبالصدى فتك الصبابة بالمحب المغرم

وهو فتك معنوي وهو الطف انواع تشبيه الصورة لانه نقل صورة الى غير صوره «٢» .

ومما اورده ابن الاثير من التشبيهات المركبة قول ابي تمام :

معشر اصبحوا حصون المعاني ودروع الاحساب والاعراض«٣»

ومن جمال قوله في مدح المعتصم :

جلا ظلمات الظلم عن وجه امة اضاء لها من كوكب الحق آفله

وقوله :

ينال الفتى من عيشه وهو جاهل ويكدى الفتى في دهره وهو عالم

ولو كانت الارزاق تجرى على الحجى هلكن اذن من جهلهن البهائم

ومن استعاراته الجميلة :

ماضر اروع يرتمي في همه روعاء ان لايرتمي في سلمي

وكقوله :

ادنت نقابا على الخدين وانتقبت للناظرين بقد ليس ينتقـد

وكقوله :

رقت حواشي الدهر فهي تمرمر وغدا الثرى في حليه يتكسر

---

(١) دلائل الاعجاز ص٣٣، ٣٤، ٤٠، ٥٣، ٧٢، ٣٣١-٣٣٢، ٣٢٦، ٣٣٨، اسرار البلاغة ، ص٣٩، ٥٤، ٨٧، ٩٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٢٨، ٢٣٤، ٢٨٨ .

(٢) ابن الاثير، ص١٣٠ .

(٣) المصدر السابق، ص١٣٨ .

وقوله :

وقد علم الافشين وهو الذي به يصان رداء الملك عن كل جاذب

وقوله :

وكم سرق الدجى من حسن صبر وغطى من جلاد فتى جليد

وكقوله :

ويضحك الدهر منهم عن غطارفة كأن ايامهم من حسنها جمع «١»

وقد عد الامدي : ان الزحاف ، واضطراب الوزن في بعض ابياته . واحتواء شعره على الحوشي والتعقيد وسوء النسخ وقبح الاستعارة والغموض والخروج على اللغة ، كل ذلك كان بسبب تصنيعه «٢» .

وقد ذكر صاحب الوساطة من استعاراته القبيحة :

باشرت اسباب الغنى بمدائح ضربت بابواب الملوك طبولا

وكقوله :

لها بين ابواب الملوك مزامر من الذكر لم تنفخ ولا هي تزمر «٣»

وقد اخذ عليه صاحب الموشح مآخذ كثيرة بسبب اهتمامه بالمحسنات .

وليس الغريب في شعر ابي تمام حاصلا من اللفظ الغريب والصور الجريئة وحدهما بل جاء من الاشتقاقات الجريئة التي تسمع لاول مرة فاذا احوجه الشعر الى مخالفة السماع خالفه بلامبالاة للقياس «٤» مثال ذلك قوله :

وتبسم العقل ابتسام اقاحه متزاهراً عن باكر الانـــداء

والشائع : اقاحيه .

وقوله :

بالقائم الثامن المستخلف اطأدت قواعد الملك ممتدا لها الطول

والصواب : اطدت .

---

(١) الوساطة ، ص٣٦

(٢) الامدي ، ص٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ١٨٠ ، ١٥٨ .

(٣) الوساطة ، ص٣٦ .

(٤) عبقرية ابي تمام ، ص٧٤ .

وقد يأخذ لفظة اعجمية غريبة كقوله :

«كشخنتين على غير جرم» الى اخر البيت

و «كشخنتين» كلمة فارسية .

ومن اغرابه كثرة الاعلال . كقوله :

سقى الله من اهوى على بعد نائه واعراضه عني وطول جفائه

ولم يسمع ذلك عن «نأى» . وكثيرا ما ينقل اللفظ من معنى الى معنى مشابه توسعة كقوله :

ولا ترين البكـــى ســـبة والصق جوى بلهيب روائي

والرواء اصله للماء فاراد به اللهيب العظيم «١» .

ويعود ذلك الى اسباب ،منها : محاولته توضيح المعاني العميقة التي يريدها وكثيرا ماتعجز اللفظة العادية عن ايضاحها ، او بسبب الحبسة التي في لسانه . فقد كان يختار الالفاظ التي يستطيع نطق حروفها رغم غرابتها . ويترك الالفاظ التي لايستطيع لفظ حروفها رغم سهولتها . كما كان صوته اجشا تناسبه الكلمات الضخمة الغريبة .

ويذكر ابن الاثير عن شعره في عرضه للخفيف الحسن قوله :

دار اجل الهوى عن ان ألم بها في الركب الا وعيني من منائحها

فقوله : عن أن ، في هذا البيت من الخفيف الحسن «٢»

بينما يعدد عبد القاهر الجرجاني في دلائل الاعجاز ماثقل من لفظه في شعره «٣» .

ويؤكد هذا الرأي بطرس البستاني «٤» ، اذ يقول : من غريب اللفظ ووحشيه ،

---

(١) عبقرية ابي تمام، ص٧٤-٧٦ .

(٢) المثل السائر، ص٤٠٠ .

(٣) دلائل الاعجاز . ص٣٣-٣٤، ٤٠ .

(٤) ادباء العرب، ص١١٠ .

وشغف به وافرط في استعماله حتى تأبد اكثر شعره واخشوشن . وسمج وقعه في الاذن ، فضاعت فيه معانيه الحسان . وفي هذا الرأي تجن وتهجم وعدم موضوعية في النقد،لان ابا تمام ابتكر افكارا وصورا جديدة وكان يحس دائما ان اللغة لاتستطيع ان تؤدي مايريد . وما اللغة ؟ أليست رموزا غامضة «١» ؟ ! .

وكما يقول الدكتور شوقي ضيف:لم يناقش النقاد شعر ابي تمام انما ناقشوه في اسلوب ملتو او عبارة غريبة او صورة غير مألوفة وانهم ناقشوا ظاهر العمل لاباطنه ، وما فيه من فلسفة وثقافة وتلون شعرى ويضيف الدكتور ضيف ان شعر أبي تمام خير مثل يصور ربيع الفكر العربي ومقدرته على الازدهار والاثمار ، كقوله :

ومعرس للغيث تخفق فوقـه رايات كل دجنة وطفـــاء
نشرت حدائقه فصرن مآلفا لطرائف الانواء والانداء
فسقاه مسك الطل كافور الندى وانحل فيه خيط كل سماء «٢»

كما نجد عنده وفرة التأويلات لكثرة تعمقه بالتفكير والخيال وخروجه بصور متعددة كقوله :

ولهت فاظلم كل شيء دونها وانار فيها كل شيء مظلم

وقد اختلف الشراح في شرح هذا البيت ، فاختلف المرزوقي «٣» عن التبريزي «٤» في شرحه .

كما كان للرمز اثر في الغموض الذي ساد شعر ابي تمام . وهو ناتج عن ثقافته الواسعة ، اذ امتزج الجانب العقلي في شعره بالتجسيد للصورة واعطائها البعد المادي والمعنوي . كقوله لابن ابي دؤاد :

---

(١) شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه ، ص ٢٤١ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٢٤٤–٢٤٥ .
(٣) المرزوقي ؛ المشكل ، ص ٤١ .
(٤) التبريزي ، ج ١ ص ٣٦٠ .

يا ابا عبد الله اوريت زنـــدا في يدي كان دائم الاصلاد
انت جبت الظلام عن سبل الآ مال اذ ظل كل هاد وحـــاد

فنجح في الزناد الذي يكشف الظلمة . والامثلة كثيرة في شعره وهو يهتم بمعانيه اهتمامه بالفاظه .

ويذكر صاحب العمدة انه اكثر المولدين توليدا «١» .

وقد استطاع ان يستجمع اللفظ والمعنى . وسبق في ذلك من سبقه من شعراء عصره . فهو يأتي باللفظ حيث يقع المعنى مهما حدث من الصعوبة او الخفاء او الاشتباه كقوله :

كلف برب الحمد يزعم أنه لم يبتدأ عرف اذا لم يتمم

ففي كلمة «رب» اشتباه «٢» .

وقد استطاع ان يستمد لمعانيه اساليب بلغت غاية الروعة في المدح وحسن المدخل ومراعاة المناسبة واداء مايحب على شعر المدح في الاسراف في الغلو والمبالغة «٣» .

وهو كثيراً مايعمد الى اخفاء المعاني لينسجم مع الحضارة ومع العصر الذي يعيشه كقوله :

ولهت فاظلم كل شيء دونها واضاء منها كل شيء مظلم

فالبيت يحتاج الى استنباط . فالوله والظلام الذي ساد بينهما كان بسبب مانالله من الجزع لولهها فهي اذن تحبه . والامثلة على ذلك كثيرة «٤» .

وقد زاد في اخفائه للمعاني لجوؤه الى المعاظلة اللفظية والمعنوية . ومن معاظلاته المعنوية قوله في مدحه لخالد بن يزيد الشيباني :

ودعا فاسمع بالاسنة واللهى صم العدا في صخرة صماء

(١) العمدة ، ص٢٣١ .
(٢) عبقرية ابي تمام ، ص١٠٧ .
(٣) عبقرية ابي تمام ، ص١٠٨ .
(٤) عبقرية ابي تمام ، ص٨٣-٨٨ .

ولا يمكن فهم البيت الا بالتقديم والتأخير ، فهو يريد ان يقول :

ودعا صم العدا في صخرة صماء فاسمع بالاسنة واللهـــى

اما معاظلته اللفظية فتتم عن دخول الحرف على الحرف وتكرير الحرف المفرد في كلمات متتابعة وتتابع الصفات ثم كثرة الاضافات . وقد وقع ابو تمام في كل ذلك . فقد ادخل الحرف على الحرف في قوله الى خالد :

الى خالد راحت بنا ارحبية مرافقها من عن كراكرها نكب

ويرى ابن الاثير ان تضايف الحرفين من وعن ، كان مقبولا لولا اضافتهما لكلمة كراكر «١» . وامثال هذه المعاظلة كثيرة .

ومعانيه تتسع بالمدح ، وتدق في الحكمة ، وتهتم بالعلة والسبب . وتقذع في الهجاء ، وترق في الرثاء ، وعده البعض من اصحاب المذهب الشامي «٢» .

وقد جاء بوفرة المعاني في العبارة الواحدة كقوله يمدح :

بالشعر طول اذا اصطكت قصائده في معشر وبه عن معشر قصر

ولا يخفى ان للبيت معنيين : ان الشعر يتسع مجاله بمدحك او ان الشعر يفخر بمدحك . وقد اكثر ابو تمام من الاستطراد والاستيعاب «٣» فقد اراد ان يهجو عثمان بن ادريس فمال الى فرس يصفه ثم عاد الى هجاء عثمان ويظن السامع انه يصف فرسا حتى يفاجئه بما يريد :

وسابح هطل التعداء هتـــان على الجراء امين غير خـــوان

اظمى الفصوص ولم تظمأ قوائمه فخل عينيك في ظمان ريان

لو تراه مشيما والحصى زيم بين السنابك من مثنى ووحدان

ايقنت ان لم تثبت ان حـــافره من صخر تدمر او من وجه عثمان

---

(١) عبقرية ابي تمام ، ص٨٩–٩٣ .

(٢) انظر عمر فروخ : عبقرية ابي تمام ؛ البهبيتي ، ابوتمام ، امراء الشعر العباسي .

(٣) يقول ابن رشيق : الاستطراد هو ان يصف الشاعر شيئا ويريد غيره . فان قطع او رجع الى ماكان فيه فذلك استطراد — العمدة ج١ ص ٣١ .

وخير مثال على استيعابه «*» قصيدته الهمزية التي يمدح بها محمد بن حسان الضبي فانه لم يأت بجواب رب التي هي في البيت الثالث الا في البيت السابع من القصيدة وقد اعانه الاستيعاب على ان يلم بالمعاني الماما سريعا «١» ، مما اظهر عنده الوحدة العضوية .

كما عمد الى التفصيل والتجزىء فاذا وصف الكريم وصفه بالجبل ثم يذكر القمة والسفح والهوة ومزالق الصعود ، كقوله يمدح :

ودان الجد اتاني عطاياه من عل ومنصبه وعر مطالعه جرد
فقد انزل المرتاد منه بماجد مواهبه غور وسؤدده نجد

وهو يكثر في معانيه من ذكر العلل والاسباب ويعود ذلك الى وفرة ثقافته كقوله :

ان شئت ان يسود ظنك كله فأجله في هذا السواد الاعظم

وقوله :

لولا اشتعال النار فيما حولها ما كان يعرف طيب عرف العود

وهو يهتم في تجسيد معانيه ، واظهارها ، وكأنها تبدو حقيقة ملموسة ، ومن جيد تصويره ، قصيدته في وصف الربيع :

رقت حواشي الدهر فهي تمرمر وغدا الثرى في حليه يتكسر
ياصاحبي تقصيا نظريكما تريا وجوه الارض كيف تصور
تريا نهارا مشمسا قد شابه زهر الربى فكأنما هو مقمر

وقوله يصف مطرا في قصيدة مدح بها ابن الزيات :

ديمة سمحة القياد سكوب مستغيث بها الثرى المكروب
لو سعت بقعة لاعظام نعمى لسعى نحوها المكان الجديب
لذ شؤبوبها وطاب ، فلو تسـ ـطيع قامت فعانقتها القلوب
فهي ماء يجري وماء عليه وعزال تنشا واخرى تذوب

(*) الاستيعاب : هو ان يبتديء الشاعر بشيء ثم لايخبر عنه ولاينتهي عن الكلام فيه الا بعد امد طويل — عبقرية ابي تمام، ص١٤٢ .

(١) عبقرية ابي تمام ص١٤٢—١٤٣ .

كشف الروض رأسه واستسر الـ ـمحل منها كما استسر المريب
ايها الغيث حي اهلا بمغـدا ـك وحين السرى وحين تؤوب

ومن جيد تصويره قوله في احتراق جسد الافشين المصلوب :

ناراً يساور جسمه من حرها لهب كما عصفرت شق ازار
طارت لها شعل يهدم لفحها اركانه هدما بغير غبـار

وهو يضع الكلام في موضعه ، كما قال ابن رشيق في حديثه الذي مر بنا سابقا وهذا رأى ابن الاثير ايضا «١»

والتركيب عند ابي تمام قوية لتمازج اللفظ والمعنى ولكن تكلفه للمعاني البعيدة وغرامه بالصناعة وبحثه عن الكلام الغريب ادخلت على شعره شيئا من الغموض والتعقيد فجاءت تراكيبه معقدة احيانا كقوله :

خان الصفا اخ خان الزمان اخا عنه فلم يتخون جسمه الكمد «٢»

والذي يتملى ديوان ابي تمام ويسفر على تحليل معانيه يجد بدائع شعره مثل قوله :

واذا اراد الله نشر فضيلـة طويت اتاح لها لسان حسود

وقوله في سبيل بلوغ الارب :

ولكنني لم احو وفرا مجمعا ففزت به الا بشمل مبـرد

حتى يقول :

وطول مقام المرء في الحي مخلق لديباجتيه فاغترب تتجدد
فاني رايت الشمس زيدت محبة الى الناس ان ليست عليهم بسرمد

وقد شهد البلغاء لابي تمام بالتقدم في ذلك . قال ابن لاثير في كلامه عن المعاني التي تستخرج من غير شاهد الحال : « ان لانكارها سراً لايهجم على مكامنه الاجنان الشهم ، ولا يفوز بمحاسنه الا من دق فهمه حتى جل

---

(١) العمدة ، ج ١ ص ٨٧ ، المثل السائر ص ٩٨ ، ١٠٩ ، ١٣٤ ، ٤٠٠ ؛ ١٣١ ، ج ١ ص ٧ ؛ ٥٨ ، ٦١ .
(٢) عمر فروخ ؛ ابو تمام ؛ ص ٧٩ ، الوساطة ، ص ١٨ ؛ سر الفصاحة ، ص ١٥١ .

عن دقة الفهم ثم يقول : « قد قيل ان ابا تمام اكثر الشعراء المتأخرين ابتداعاً للمعاني وقد عددت معانيه المبتدعة «أي التي لم يسبق اليها» فوجدت مايزيد عن عشرين معنى . واهل هذه الصناعة يكبرون ذلك ، وما هذا على مثل ابي تمام بكثير » «١» . وقال ابو الفرج الاصفهاني : « وفي عصرنا هذا «القرن الرابع الهجري» من يتعصب له فيفرط حتى يفضله على كل سالف وخالف » «٢» بل هي التي دفعت ابا دلف العجلي ان يصيح وقد انشده ابو تمام قصيدته التي مطلعها :

على مثلها من اربع وملاعب اذيلت مصونات الدموع السواكب

يامعشر ربيعة اما مدحتم قط بمثل هذا الشعر . فما عندكم لقائله ؟ فبادروه بمطارفهم يرمون بها اليه . فقال ابو دلف : فتقبلها منكم واعاركم لبسها . وسأنوب عنكم في ثوابه . ثم امر له بخمسين الف درهم وقال : والله ما هي بازاء استحقاقك وقدرك فاعذرنا «٣» .

وقد كان ابو تمام يحسن صبغ صوره ويستعين بالتجسيد والتشخيص فقد جسم النأى والصدود حين قال لبعض ممدوحيه :

ومن زمن البستنيه كأنه اذا ذكرت ايامه زمن الورد

وكأن هذه الثياب الغريبة تشبه غرابة ثوب الزمن ، ومن هنا كثر نقد شعر ابي تمام ، لانه لم يسر على منوال الشعر القديم . وقد رد الدكتور شوقي ضيف الامدى ردا جميلا في كتابه الفن ومذاهبه «٤» وقال في مقارنته بمسلم وابن الرومي : فأن التصوير لم يستغرقهما على نحو استغراقه لابي تمام وان الانسان ليخيل اليه كأنما اصبح الشعر عنده ضربا من لوحات الرسامين فهو معني فيه دائما بالتصوير مشغوف بكل خيال نادر طريف «٥» .

---

(١) المثل السائر ، ص١٩٣ .
(٢) الاغاني ، ج١ ص١٠٠ .
(٣) المصدر السابق ، ص١٠٣ .
(٤) الفن ومذاهبه ، ص٢٣٥-٢٣٩ .
(٥) المصدر السابق ، ص٢٣٩ .

ومن انسجام اللفظ والمعنى في شعر ابي تمام ظهرت عنده الوحدة العضوية فقد تزاوج حسه وعقله جميعا فالفكر والفن لا يفترقان، فهو يحس الجمال، ويتعمق بواطن الاشياء فالقصيدة بفضل الفكرة الجارية فيها ذات وحدة وتماسك تتلازم الفاظها مع معانيها فهو يقول عن فنه:

وكأنما نظم القوافي لؤلؤ اثبته في جندل منضود

والتسلسل الفكري في وحدة القصيدة لا يقف عند الحد المعنوي بل يتعداه الى الاثر اللفظي فهو لا يهتم بوحدة البيت كاسلافه، بل بوحدة القصيدة ككل، فقد يأتي مثلا بالمبتدأ في البيت، وبالخبر بعد ابيات كثيرة. لان التلاحق المنطقي والاقيسة المنطقية للمعاني في القصيدة يقتضي ذلك «١».

ويتعمق ابو تمام وراء الاشياء المادية ويتناول النفس والروح، كقوله:

تجد صلا تخال بكل عضو له من شدة الحركات قلبا

ويمتزج القياس المنطقي بالموسيقى والشعر والتصوير فتظهر وكأنها اقيسة فنية اذ يقول في الرثاء:

ان ريب الزمان يحسن ان يهـ ـدي الرزايا الى ذوي الالباب

فلهذا يجف بعد اخضرار قبل روض الوهاد روض الروابي

كما عني بجمع الاضداد يقرب بينها ويراها في مظاهر الطبيعة وخوالج الفكر متعاكسة متنافرة ومجتمعة مترابطة وكانه قد اطلع على نظريتي هيكل وماركس القائلة بان التناقض هو السبب في تطور الاشياء «٢» كقوله:

مطر يذوب الصحو منه وبعده صحو يكاد من النضارة يمطر

ويقول ابن الاثير: وقد قيل: ان ابا تمام اكثر الشعراء المتأخرين ابتداعا للمعاني. وقد عددت معانيه المبتدعة، فوجدت ما يزيد على عشرين معنى. واهل هذه الصناعة يكبرون ذلك ثم يقول: فاما ما ورد لابي تمام:

---

(١) البهبيتي، ابو تمام، ص٢١٥-٢١٨.

(٢) نديم عدي، تاريخ الادب العربي، ص٥٧.

ـ يا ايها الملك النائي برؤيته وجوده لمراعي جوده كثب «١»
ليس الحجاب بمقص عنك لي أملا ان السماء ترجى حين تحتجب
ـ ولكن دارة القمر استتمت فدلتنا على مطر قريب
ـ واذا اراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

ومن قوله في الهجاء :

ـ وانت تدير قطب رحى عليا ولم ير للرحا العلياء قطبا
ترى ظفرا بكل صراع قرن اذا ما كنت اسفل منه جنبا
ـ لا تنكروا ضربي له من دونه مثلا شرودا في الندى والباس
فالله قد ضرب الاقل لنوره مثلا من المشكاة والنبراس
ـ لا تنكري عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالي

وكثرت المعاني المخترعة عند ابي تمام وكما ان هذا التفكير الدائم والنظر في الاشياء والاحداث والعواطف ، جعل شعر ابي تمام مسرحا لمعان لم توجد في شعر غيره «٢» . وقد احسن ابو تمام في الابتداء والختام فقد سرد الحاتمي طائفة من ابتداءات ابي تمام وانتهاءاته ونماذج من حسن تخلصه ولطف اقتضابه وبراعة وصفه للقوافي فاستحسن ابتداءه اذ قال :

لا انت انت ولا الديار ديار خف الهوى وتقضت الاوطار

وزعم ان لن يستطيع احد ان يبتدىء بمثل ابتدائه حيث يقول :

ما في وقوفك ساعة من باس تقضي حقوق الاربع الادراس

وزعم ان ابا تمام هو الذى وصف القوافي بما لم يستطيع احد وصفها به فقال :

جاءتك من نظم اللسان قلادة سمطان فيها اللؤلؤ المكنون
انسية وحشية كثرت بهـا حركات اهل الارض وهي سكون
ينبوعها خضل وحلي قريضها حلي الهدى ونسيجها موضون

---

(١) المثل السائر ص١٩٢ .

(٢) الهبيتي ، ابو تمام ، ص٢١٨-٢١٩ .

قد حاكها صنع الضمير بمده حب اذا نضب الكلام معين
اما المعاني فهي ابكـار اذا نضت ولكن القوافي عون «١»

وجاء في الوساطة: ان الشاعر الحاذق يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص وبعدهما الخاتمة. فانها المواقف التي تستعطف اسماع الحضور وتستميلهم الى الاصغاء وقد ذهب ابو تمام والمتنبي في التخلص كل مذهب واهتما به كل اهتمام «٢».

وكان ابو تمام شاعرا ثائرا على عمود الشعر. اذ كان يتصيد المعاني ويلبسها الالفاظ، وكان ينصب القافية الى البيت ليعلق الاعجاز بالصدور. هذا ما قاله عنه صاحب العمدة، واضاف: وذلك هو التصوير في الشعر ولا يأتي به كثيرا الا شاعر متصنع كحبيب ونظرائه «٣». وقال: كان ابو تمام على جزالته وتقدمه مقصرا في القطع من رتبة القصائد «٤» ويعزى ذلك الى اهتمامه بالمعاني اكثر من اهتمامه بأى شي اخر. وكان ابو تمام يعنى بتنقيح الابيات، وباللفظ وبالتركيب والايغال في التشبيه، والاستعارات الى ما يشبه الرمز، كما ذكرنا سابقا. كما يهتم بالغوص في المعاني، واقامة الادلة وضرب الامثلة، وادخال فنون العلم في الشعر. وكان يبطؤ في نظم الشعر ليقتنص المعنى البعيد او الاستعارة المتخيلة او التجنيس المطلوب كما يعنى بتهذيب شعره. وقد ذكر ذلك كثيرا في ديوانه كقوله :

ساجهد حتى ابلغ الشعر شأوه وان كان لي طوعا ولست بجاهد

ويعد ابو تمام من المجددين في الاوزان الشعرية فمن قوله في التجديد :

ثقيل ردف دقيق خصر شقيق شمس نشيج بـدر

وهذا بيت ليس من الابحر الستة عشر بل هو بحر جديد استحدثه ابو تمام«٥».

---

(١) زكي مبارك، الموازنة بين الشعراء، ص٣٨ .
(٢) الوساطة، ص٤٨ .
(٣) العمدة، ج١ ص١٤٠ .
(٤) العمدة ج١ ص١٦٣ .
(٥) انظر البهبيتي، ابوتمام .

بينما ينكر خضر الطائي ذلك «١».

كما استحدث ابو تمام الموشح، فقد وردت لابي تمام ابيات فيها تقسيم يشبه ما ورد في الشعر الذي يعد طليعة للتوشيح قسم فيها ابو تمام الاشطر اقساما متساوية او شبه متساوية والتزم القافية في اخر كل جزء من اقسام الاشطر «٢»

كقوله:

يقول فيسمع ويمضي فيسرع ويضرب في ذات الاله فيوجع

وقوله:

انا الحسام انا الموت الزؤام انا الحرب الضرام انا الضرغامة العتد

وقوله:

ومن فاحم جعد ومن قمر سعد ومن كفن نهد ومن نائب ثمد

وينكر خضر الطائي انها من التوشيح وانها جارية على فني التسميط والتفويف وهما من فنون البديع «٣». ولا اجد في رأي خضر الطائي صوابا. اليس التقسيم المتساوي والتزام القافية الواحدة في كل جزء من اجزاء الشطر ضربا من التوشيح؟! ومن اين جاء التوشيح عند شعراء الاندلس اليس من التأثر المتجدد في المشرق.

وقد اخلص ابو تمام لشعره فقد استطاع بواسطته ان يحصل على المال، وان يبلغ المجد، فهو لا يمدح كرجل يجهل مقام فنه، ولم يتخذه اداة الى ممدوحيه، بل جعله مساويا حينا، واعلى منهم احيانا، «٤» ومن هذا قوله:

فدع ذكر الضياع فلي شماس اذا ذكرت وبي عنها نفار
وما لي صنيعة الا المكايا وشعر لا يباع ولا يعار
وما انا والعقار ولست منه على ثقة وجودك لي عقار

---

(١) خضر الطائي، ابو تمام، ص١١٩، ١٢٠.
(٢) عمر فروخ، ابو تمام ص٩٦، البهبيتي، ابو تمام.
(٣) خضر الطائي، ابو تمام، ص١١٥—١١٦.
(٤) عبقرية ابي تمام، ص٤١.

وهكذا صار كثير من شعر ابي تمام قياسا يتألف من مخيلات تؤثر في النفس وقد فشا بعده في شعر العرب وان سبقه الى ذلك بشار ولكن ابا تمام اجاد فيه «١». وقد شرح الجرجاني في كتابه اسرار البلاغة مستشهدا بامثلة لابي تمام في قوله:

لا تنكري عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالي

في هذا الباب «٢». ومن ذلك قوله:

مطر يذوب الصحو منه وبعده صحو يكاد من النضارة يمطر

وقوله في الشكوى:

ما زلت القي ذاك بالصبر لابسا ردائيه حتى خفت ان يجزع الصبر

كل ذلك جعل ابا تمام يعطي القصيدة شكلها النهائي، اذ ختم الخصومة السابقة بخاتمة الذي اعطى القصيدة العربية طابعها المشبه. لان يكون ابديا. فكثيرا ما يفتتح قصائده بالغزل، ثم ينتقل من الغزل الى وصف رحلته الى ممدوحه فاذا انتهى الى الممدوح اخذ في مدحه وقد استحال هذا المدح على يده تصويرا للبطولة في عصره وكانت ابرز خلال الممدوح فيه قدرته في الحرب واصابته في الرأي فممدوح ابي تمام يرتسم امامك بطلا من ابطال القصص «٣».

اغراضه:

ومن هنا. ظهرت مظاهر جديدة في شعر ابي تمام هي الاهتمام بالتاريخ. لالتصاقه بالواقع والشعر الملحمي. فقد ارتبط شعر ابي تمام بالواقع ارتباطا قويا وهذه خاصة من خصائص الشعر العربي القديم فهو يحس الاشياء ويدركها ادراكا عميقا ويصفها وصفا ماديا بحيث لا يدع شيئا «٤». واحسن مثال

---

(١) المصدر السابق ص١٣٤.

(٢) اسرار البلاغة، ص٢٣١.

(٣) البهبيتي. تاريخ الشعر العربي حتى اخر القرن الثالث الهجري، ص١٩١–١٩٤.

(٤) الرؤوس، ص١٣٩، تاريخ الشعر العربي، ص١٩٤.

على ذلك الشعر الجاهلي وشعر صدر الاسلام وشعر العصر الاموي في غالبه. ولابي تمام دقة في الملاحظة . وقدرة لغوية. تستوعب اكثر المفردات، وهي ومضات عجيبة من عبقرية هذا الرجل. وقد سماها ابن الاثير «الكلمات الجامعة» وضرب مثلا عليها قول ابي تمام:

سبق المشيب اليه حتى ابتزه وطن النهى من مفرق وقذال

فقوله «وطن النهى» من الكلمات الجامعة وهي عبارة عن الرأس ولايجاء بمثلها في معناها بما يسد مسدها. ويرى مارون عبود ان قوام فن ابي تمام هو منحه الحياة لما لا حياة فيه واسناد الشيء الى غير ما هو له اذ توغل في المجاز وابدع فيه لبعث الحياة في الصور كقوله:

نامت همومي عني حين قلت لها: هذا ابو دلف حبي به وكفى

وقوله:

اعني افرق شمل دمعي فانني ارى الشمل منهم ليس بالمتقارب(١)

ومثل ذلك وصفه لحرق الافشين:

نارا يساور جسمه من حرها لهب كما عصفرت شق ازار
طارت لها شعل يهدم لفحها اركانه هدما بغير غبار

ومن روائعه في وصف المصلبين قوله:

بكروا واسروا في متون ضوامر قيدت لهم من مربط النجار
لا يبرحون ومن رآهم خالهم ابدا على سفر من الاسفار

ويقول ابن الاثير في اوصاف ابي تمام: وهذا الضرب ليبتدعه مؤلف الكلام من غير ان يقتدي فيه بمن سبقه وربما يعثر عليه عند الحوادث المتجددة ويتبينه له عند الامور الطارئة (٢). «وللحلة السابرية» التي كساه اياها محمد ابن الهيثم ، ووصفه لقلم بن عبد الملك الزيات ، ووصفه الفرو ، ورثاؤه

---

(١) الرؤوس، ص ١٤٠ .
(٢) عبقرية ابي تمام ص ١٥٢ .

لابنه واخيه فكأنه كيان يشهد مرض ابنه ونزع اخيه ليلتقط ويصف «١» واصدق مثال على التصاقه بالواقع وصفه لفتح عمورية فقد نقل لنا شعر غزو المعتصم انتقاما لغارة تيوفيل الرومي على زبطره وتنكيله لها وسبي نسائها، وصراخ الهاشمية الاسيرة، ونهوض الخليفة من على عرشه، وهو يهتف: لبيك لبيك. الى اخر الواقعة، كل ذلك مسجل في القصيدة لا يعتمد على تخيل او ايهام وتمتاز قدرته هنا بالصياغة اللفظية ومثل ذلك قصيدته في صلب الافشين. ومن ذلك قصيدته التي مطلعها:

ارايت اي سوادف وخدود عنت لنا بين اللوى فزرود؟

وقد جمع له شارح همزياته جملة من هذه التاريخيات، وكانت هذه الطريقة وسيلة من وسائله للتقرب الى القبائل ونفوس ممدوحيه الذين يقصدهم بمدحه، ولعله كان يدرس هذه الاحداث قبل نظم القصيدة وينقحها ليبهر بها نفوس السامعين. حتى اعتبره البهبيتي مؤرخ عصره ومصوره فلم يقع حدث هام في تاريخ الامة الاسلامية الا سجله ابو تمام وتغنى به. فقد وصف هجوم ثغور المسلمين وغزو المأمون الروم وانقسام الناس على انفسهم حتى ان معظم شعره يتصل بالتاريخ اتصالا وثيقا «٢». ومثل ذلك رثاؤه لمحمد بن حميد الطوسي. ويطابق قول ابن الاثير في تاريخه الكامل «٣». ويقول البديعي: ان ابا تمام لما بلغه خبر قتله —محمد بن حميد الطوسي— غمس طرف ردائه في مداد ثم ضرب به كتفيه وصدره. وانشد القصيدة التي تمنى ابو دلف لو كان هو المقتول وقيلت فيه:

كذا فليجل الخطب وليفدح الامر فليس لعين لم يفض ماؤها عذر «٤»

الى اخر القصيدة.

وتظهر اثار حرب بابك الخرمي في شعره، والهمته هذه المواقع

---

(١) الرؤوس، ص١٤٢.

(٢) البهبيتي، ابوتمام، ص٢١٢.

(٣) ابن الاثير، ج٦، حوادث سنة ٢١٤ص، قصيدة ابي تمام في تأبين هذا البطل العربي.

(٤) المصدر السابق، ص١٠٣، ١٠٤.

شعرا ظل يتردد زمنا بعد ذلك . ويقول البهبيتي : ان هذه الموقعة قد اعطت شعر ابي تمام لونا جديدا ذلك ان شعر ابي تمام قبلها كان لا يكثر فيه وصف الحرب ، اما بعد هذه الموقعة فقد كثر كثرة جعلته من مميزات شعره .(١) وقد اصطبغ شعر ابي تمام بالدم لكثرة اهتمامه بوصف الحروب . واجمله ذلك الذي يصف فيه الخراب والحريق . وفي قصيدة فتح عمورية . وحرق الافشين ، وحرب بابك الخرمي . احسن الامثلة على ذلك . ومن هنا عد ابو تمام شاعر البطولة الاسلامية (٢) . ولكنه كثيرا ما يلجأ الى الاساطير اليونانية القديمة في قصائده تلك . وذلك يعود الى ثقافته اليونانية . وقد عد البعض (٣) قصيدة فتح عمورية ملحمة اذ قال : لنأخذ الان مثلا على ملحمة عمورية التي خلدها ابو تمام في قصيدة لا تزال من عيون الشعر . لا باعتبارها قصيدة في مدح الخليفة المعتصم ، والمدح اهون ما جاء فيها . ولكن باعتبارها ملحمة تشرف على وصف المعركة وصفا حيا من بدئها الى منتهاها حتى خلصت الينا عملا فنيا رائعا متماسكا . ويستمر خليل الهنداوي في تحليل القصيدة . وتتبع ابي تمام لاحداث المعركة . ويقارن بين ما قاله مؤرخو الروم ، وبين ما جاء في ابيات القصيدة ، من هدف واقعي للحدث التاريخي . ولكنه لم يستطع ان يبرهن على ان هذه القصيدة من نوع الملحمة الا في شيء واحد هو اعتمادها على البطولة والشجاعة في القتال . ويؤيد حنا الفاخوري رأي خليل الهنداوي اذ يعد قصيدة فتح عمورية وبعض ابيات اخرى تأتي في عرض مدائحه مثالا للشعر الملحمي في ادبنا لما فيه من تصوير واسع مهيب لاحداث خطيرة وخيال رحب يعتمد الواقع التاريخي ، ويتغنى بحرية في تفخيمه . والتكيف به بالاضافة الى الفاظ فخمة هدارة واسلوب جزل تزخر فيه الصناعة اللفظية على مختلف ضروبها كما يغمر الانفعال النفس في كل بيت من ابياته مما مهد السبيل

---

(١) البهبيتي ، المصدر السابق ، ص ١٠٧ .

(٢) البهبيتي ، المصدر السابق ص ٢٢٥ .

(٣) خليل الهنداوي ، ملحمة عمورية ، مجلة العربي ، العدد ٧٥ سنة ١٩٦٥ .

للمتنبي «١» .

ولا نجد في هذا تبريرا كافيا لكون قصيدة عمورية من الشعر الملحمي . ولكن يمكن ان نعتبر هذا النوع من الشعر ضمن الشعر القصصي، لا في وصفه للمعارك فقط انما في تصويره لممدوحيه اذ تستحيل صورة الممدوح بطلا من ابطال الملاحم التي حرم منها الادب العربي، كما يفعل ذلك في طريقة هجائه وهو يعمد الى التاريخ، ليقتبس منه، ومن الحاضر ليلبسه روح العصر كما في مدحه المعتصم بعد اخذ بابك اذ قال :

آلت امور الشرك شر مآل وامر بعـــد تخمط وصيال

فالقصيدة مثل جيد من القصص الشعرى العربي، اذيذكر فيها قصة ثورة بابك وهزائمه وصراعه بدون كذب او غلو، وبحدود ما ذكرته كتب التاريخ. وكما جاء في كتاب ابن الاثير . ويرى البهبيتي ان الرجوع الى القصيدة للمقارنة بينها وبين التاريخ هو خير ما يعمل في مثل هذه الحرب «٢» .

وهذا ما فعله في مدح ابي سعيد محمد بن يوسف وفي رثائه لمحمد بن حميد الطوسي .

ومن الفنون المهمة التي شاعت في شعرابي تمام المديح والرثاء ووصف الطبيعة. فقد تقدم في وصف الطبيعة على الاشارات العابرة التي وصفها ابو نواس، فقد استحالت عند ابي تمام الى نظرات تأملية فلسفية كما فعل في وصف الربيع :

رقت حواشي الدهر فهي تمرمر وغدا الثرى في حليه يتكسر

وكثيرا ما يمزج الطبيعة بمظاهر الحياة وبرؤيته الخاصة واصداء نفسه :

غنى فشاقك طائر غريـــد لما ترنم والغصون تميـــد «٣»

ومن مظاهر وصف ابي تمام للطبيعة دقة الملاحظة في الموصوف، ونقل الواقع المحسوس لكل جزئياته وتفاصيله، بالاضافة الى التأمل الفكرى، واسبار غور

(١) حنا الفاخوري، تاريخ الادب العربي، ص٤٩٨ .

(٢) البهبيتي، ابو تمام، ص١٣٨ .

(٣) تاريخ الشعر العربي، ص٥٠١ : ٥٠٢ .

الاشياء المحسوسة. واستخراج معانيها، ورموزها وهو لا يقف عند الظاهر المحسوس بل يتخطاها الى الاعماق عن طريق المجاز والمحسنات البديعية كقوله :

دنيا معاش للورى حتى اذا حل الربيع فانما هي منظر

وقد شغل ابو تمام في المديح فلا يكاد يغفل احدا من علية القوم الا ويسرع لمدحه. حتى بلغ عدد ممدوحيه نحوا من ستين شخصا، وكان ينظر الى ممدوحيه نظرة جدية يعرف بواسطتها كيف يحصل منه على ما يريد. فقد اتصل ابو تمام بالمأمون، والمعتصم، والواثق، والمستعين، من الخلفاء. كما مدح عبد الله بن طاهر وخالد بن يزيد الشيباني، والي الموصل، في أيام المأمون ومدح ابنه محمدا والحسن بن رجاء ومحمد بن حسان الضبي الجواد ومحمد ابن عبد الملك الزيات واحمد بن ابي دؤاد وكان يعرف انهما خصمان متنافسان فجعل يتردد بينهما بمدائحه لينتفع بعداوتهما «١». وقد تبدو عقدة الفقر واضحة في انتهازيته، وفي اتصاله بممدوحيه فقد جعل ابن ابي دؤاد وسيلته الى المعتصم حتى اذا كان المعتصم في آخر ايامه حثه على ان يبايع لابنه الواثق. وقد عرف ان ذلك يرضيه، فمهد لنفسه بذلك عند الواثق «٢» وفي اتصاله بابي سعيد الطائي ذكر صلته به ونسبته الى طي «٣». وامثال ذلك كثير. وكان يصطنع الكبرياء احيانا، ليؤثر ذلك في اعلاء مقامه، ومن ذلك ما قيل انه لم ينحن على الف دينار التي نثرها عبد الله بن طاهر ولعل مقابلة ابي العميثل له ونثر الدنانير بالصورة التي نثرت عليها كان السبب في استعلائه وتكبره عنها. وقال صاحب الاغاني عن ابي تمام: انه كان يعرف كيف يصرف مدحه فلم ينتفع في ايامه شاعر بدرهم «٤». ويمتاز مديحه بالاشادة بالقومية العربية والدين الاسلامي وقد اعجب ذلك بني العباس لاحتفاظه بحبه آل البيت، كما

(١) تاريخ بغداد، ج٨ص١٤١ .
(٢) اعيان الشيعة، ج١٩ص٢٥٥ .
(٣) المصدر السابق، ص ٢٧٧ .
(٤) المصدر السابق، ص٣١٦ .

في مدحه المأمون، ومدحه الواثق، وابي سعيد الثغرى، بعد وقعة بابك، واستخدامه للحوادث القديمة والحديثة، اذ كانت لها علاقة بالممدوح من قريب او بعيد، ليرفع بها مرتبته كما فعل في مدح ابي دلف العجلي، ومحمد ابن عبد الملك الهاشمي، وخالد بن يزيد الشيباني. واستطاع ان يحتفظ بمنزلته ومكانته، امام ممدوحيه، دون ان يحط منها، في اطار من فخامة الالفاظ والتراكيب، واعمال الفكر بما يستمده من ثقافته الواسعة وحكمته التي خبرها وعاشها «١»، فاذا لم تنفع الحيلة في فتح الابواب لابي تمام، لجأ الى العتاب، او الهجاء، كما فعل مع مالك بن طوق حين حجبه فكتب اليه لائما متهكما، يقول :

مالي ارى القبة البيضاء مقفلة دوني وقد طال ما استفتحت مقفلها
اظنها جنة الفردوس معرضة وليس لي عمل زاك فادخلها «٢»

وقد تناول الشاعر بهجائه نحو عشرين شخصا، منهم ستة اشخاص كان قد مدحهم، منهم عياش بن لهيعة الذى هجاه هجاءا مقذعا وقد اختصه باثنتي عشرة قطعة من المديح «٣».

وقد يكون هجاؤه عنيفا تارة، ورفيعا مترفعا في عتاب تارة اخرى، فيه سف وخيبة امل. اما رثاؤه فزاخر بالعاطفة. ويظهر فيه ابو تمام رقيق الحس ينفث حسراته في عبارات فخمة جميلة يعبر عنها بالمجاز والاستعارات والكنايات. وقال ابو القاسم الامدى : هو اشعر الناس في المراثي وليس له اجود واحسن من قوله :

الا ان في كف المنية مهجة تظل لها عين الالى وهي تدمع
هي النفس ان تبك المكارم فقدها من بين احشاء المكارم تنزع «٤»

---

(١) الاغاني، ج ١٥ ص ٩٨ .
(٢) عمر فروخ، ص ١١٤ - ١٢٢ .
(٣) عبقرية ابي تمام، ص ٣٠، ٣١ .
(٤) عمر فروخ، ابو تمام ، ص ١٣١ .

واجود رثائه رثاء بني حميد الطوسي ففيها تظهر انسانية الشاعر واخلاصه ووده .

كما تغلب الجزالة والرصانةوالصناعة اللفظية على مراثيه وقد تبدو احيانا عواطفه مزيفة ولكنها في كثير من الاحيان تصدر من الاعماق الحزينة الآسية.

وقصائده في الفخر قليلة يبدى فيها اعجابه بعقله ونفاذ بصره، وقدرته على احتمال الصعاب، كما يفخر بقبيلة طي، وهو في فخره يشكو من قسوة الحياة والامها. وليست له قصائد فريدة في هذا الباب «١» .

وحكمة ابي تمام تصرفات عقلية في المعاني التي يطرقها والتي تأتيهعن طريق تجاربه في الحياة ونظرته اليها، واخذ كل ذلك من ثقافته ، واطلاعه وكثرة تجواله والمامه بعلوم عصره « ٢ ». كل ذلك يكسوه بما اوتي من صنعة وقابلية لفظية وغوص في المعاني كقوله:

قد تألف العين الدسجى وهو قيدها ويرجى شفاء السم والسم قاتل

وكقوله:

واى فتى ينقاد للحلم امـره واكثر رشدا الى الغي قائده

وقوله:

والحظ يعطاه غير طالبـه ويحرز غير مجتلبـه

وكقوله:

اولى البرية طرا ان تؤاسيه عند السرور الذى آساك في الحزن

ان الكرام اذا ما اسهلوا ذكروا من كان يألفهم في الموطن الخشن «٣»

اما زهديات ابي تمام فهي قليلة ويقول حنا الفاخورى : تتجلى نفس ابي تمام عميقة الاحساس في زهدياته شديدة التأثر بالحالات النفسية الجدية، وانها على قلتها تصور بامانة نفس الشاعر الكثيرة الامال والمطامح ، وقد ظفرت

---

(١) الثعالبي ، الاعجاز والايجار ، ص٨٧ ، خاص الخاص، ص٩٦ .

(٢) عمر فروخ ، ابو تمام ، ص١٣٦

(٣) محمد كرد علي ، امراء البيان ، ج١ ص٢٦١ .

ببعض رغائبها وغرقت في طلبها الى حد الافراط ثم رأت كل شيء ينهار ويزول مع تقدم السن والشيب ولا يدع اثرا غير الاسف «١». ولم يكن ابو تمام زاهدا زهدا ينبعث من نفسه وروحه فلم تخل زهدياته من ماديات الحياة وانما طرق هذا الباب بالوجه الذي دعته اليه الصنعة «٢». ويؤكد عمر فروخ ذلك الرأي اذ يقول: فاذا رأينا زهدا لابي تمام فليس معنى ذلك انه تزهد فهو لم يبلغ السن الذي تلجيء الانسان الى ان يحاسب نفسه على اعماله السالفة وليس لابي تمام في هذا الباب جيد ولا جديد. واما الابيات الستة والاربعون التي اثبتها الخياط فهي ركيكة جدا لا يعقل ان تصدر عن مثل ابي تمام كقوله:

فلا بد يوما ان تصير لحفرة باثنائها تطوى الى يوم تنشر «٣»

ولا تتفق سيرة ابي تمام وحبه لماديات الحياة والنواحي الروحية التي تنبعث في نفس الزهاد وتبعدهم عن سفاسف الحياة وتمنيهم بجنة عرضهاالسموات والارض.

اما غزل ابي تمام فهو قليل كان يتكلفه في اول قصائده لا عن عاطفة، بل عن تقليد احيانا، وعن صنعة في احيان اخرى، وله مقطوعات صغيرة قلما تجاوز الواحدة منها بضعة ابيات وهي ومضات انسانية عابرة حيث تمحي اثار التكلف والصنعة «٤»، فترق الالفاظ وتعذب الاوزان مع هدوء واستقرار. وسبب ذلك يعود الى مادية ابي تمام وحبه للمحسوسات لا للروحيات وايمانه بالجسد لا بالروح. ولم يعرف ابو تمام بحبيبة لها اسم معين «٥»، واغلب غزل ابي تمام في الغلمان ولكنه لم يتهتك تهتك ابي نواس، ولم يتعهر فلم يرو له

(١) حنا الفاخوري، تاريخ الادب، ص٤٩٦.
(٢) خضر الطائي: ابو تمام ص٧١.
(٣) عمر فروخ، ابوتمام، ص ١٤٢.
(٤) حنا الفاخوري، تاريخ الادب العربي، ص٤٩٤.
(٥) عمر فروخ، ابوتمام، ص١٣٦.

من فاحش القول غير شيء قليل «١».

ولكن ابن المعتز روى في طبقات الشعراء، عن الحسن بن رجاء الضحاك قال: كنا مع امير المؤمنين المعتصم بالرقة، فجاء ابو تمام، وانا في حراقتي، فجعل ينشدني ويلتفت الى الخدم والغلمان الواقفين بين يدي، ويلاعبهم ويغامزهم— وكان الطائي من اكثر الناس عبثا ومزاحا— فقلت له: يا طائي قد ظننت انك ستصير الى امير المؤمنين، مع الذي ارى من جودة شعرك، فانظر: انك ان وصلت اليه لا تمازح غلاما ولا تلتفت اليه، فانه من اشد الناس غيرة، واني لا آمن ان وقف منك على شيء ان يأمر غلمانه فيصفعك كل واحد منهم مائة صفعة. فقال: اذا اخرج من عنده ببدر مملوءة صفعا. «٢»

وله في العيافة والزجر ابيات قليلة يسخر فيها من العيافة اذ يقول:

اتضعضعت عبرات عينك ان دعت ورقاء حين تضعضع الاظلام
لا تنشجن لها فان بكاءها ضحك وان بكاءك استغرام
هن الحمام وان كسرت عيافة من حائهن فانهن حمام «٣»

وقد صنف ابو بكر الصولي كتابا جمع فيه اخبار ابي تمام وشعره، وتصرفه في انواع علومه، ومذاهبه، واستدل الصولي على ما وصف عن ابي تمام بما يوجد من شعره من ذلك قوله في صفة الخمر:

جهمية الاوصاف الا انهم قد لقبوها جوهر الاشياء «٤»

وذهبوا في تعليل جوهر الاشياء مذهبا فلسفيا.

وحكي عن بعض العلماء بالشعر انه سئل عن ابي تمام فقال: كانه جمع شعر العالم فانتخب جوهره «٥» ويؤكد المسعودي ان لابي تمام اشعارا حسانا

---

(١) بطرس البستاني، ادباء العرب ص٩٥، حنا الفاخوري، تاريخ الادب العربي، ص٤٩٤

(٢) طبقات الشعراء، ابن المعتز، ص٢٨٣.

(٣) زهر الاداب، ص٥٠٢.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ص٧٤، ٧٥.

(٥) المصدر السابق، ص٧٤.

ومعاني لطافا واستخراجات بديعة «١».

ويقول مارون عبود: ان ابا تمام هو من الشعراء المحككين من السلالة الزهيرية المتحدة الجذور والفروع في الادب العربي، ولو لم يقل الشعر في المواضيع الجديدة التي اشرنا اليها، لما كان الا شاعرا مداحا نواحا كما قال فيه ابن عمه البحتري «٢».

وقد توفي ابو تمام في الموصل سنة احدى وثلاثين ومائتين للهجرة. وبنى عليه احمد بني حميد الطوسي قبة خارج الميدان «٣». ويشك البهبيتي بأنه قد مات شابا ويعتمد على قول ابن خلكان في تعليقه على قول من قال: انه مات وقد نيف على الثلاثين سنة بقوله: هذا يخالف ما سيأتي من تاريخ مولده ووفاته ثم يذكر بعد ذلك سني مولده وتختلف الروايات في مولده ووفاته ويخمن البهبيتي بانه مات كهلا «٤».

وقد رثاه الكثير من الشعراء وجاء في كتاب اخبار ابي تمام للصولي قوله: حدثني محمد بن خلف قال: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال: لما مات ابو تمام قال الواثق لابي: قد غمني موت الطائي الشاعر «٥».

---

(١) المصدر السابق ؛ ص٧٤.
(٢) مارون عبود ، الرؤوس ص١٤٤.
(٣) محمد محيي الدين عبدالحميد ، شرح ديوان ابي تمام ، ص٨.
(٤) البهبيتي ، ابو تمام الطائي ، ص٦٠.
(٥) اخبار ابي تمام ، ص١٧٢.